مصر
قبل طوفان نوح وبعده
دراسة قانونية بجوامع العربية

دكتور

أحمد محمد أحمد حشيش

أستاذ ورئيس قسم المرافعات
بحقوق طنطا – ووكيلها سابقاً

(طبعة ثانية)
٢٠٢١

الناشر
دار النهضة العربية
٣٢ شارع عبد الخالق ثروت – القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقُل لّعِبَادِي يَقُولُواْ الّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنّ الشّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنّ الشّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مّبِيناً﴾(١) (*)

«صدق الله العظيم»

---

(١) آية ٥٣/الإسراء.

(*) سنضع بعدئذ بجوار كل حديث نبوى، بياناً بمكانه ورقمه في مؤلف: الألبانى: صحيح الجامع الصغير وزيادته – الفتح الكبير – ط٣ – المكتب الإسلامى ببيروت – ١٩٨٨، وبالتالى لزم التنويه.

تنويه:

قصة مصر جزء من «المشهد القرآنى»، الذى عليك أن تعرفه وتعقله وتصدقه ولا تصدق غيره. **فأولاً:** هناك «الخالق» الموجود قبل وجود العالم.لأنه سبحانه الله الواحد الأحد الأول والآخر والظاهر والباطن، وليس أصلاً لفرع، ولا فرعاً لأصل، ولا نظير ولا نقيض له. مصداقاً لقوله تعالى: **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾**. وهذه «سورة الإخلاص»،التى تعدل وحدها ثلث القرآن كاملاً. مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(قل هو الله أحد، تعدل ثلث القرآن)** (٨١١/٤٤٠٤).

وثانياً: هناك قصة «خلق العالم»، التى بدأت بخلق القلم وما تلاه من خلق تباعاً حتى خلق السموات والأرض. وهذه المرحلة التاريخية استنفدت نصف أجل العالم، أى خمسين ألف سنة مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(كتب الله تعالى مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة)** (٨٢٦/٤٤٧٤). أما النصف الآخر، فهو خمسون ألف سنة أخرى، بدأت بخلق أول بشر وهم الملائكة وعروجهم، وتنتهى باليوم الأخير منها، أى يوم القيامة، مصداقاً لقوله تعالى: **﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ. مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ. تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾** (١-٤/المعارج). وهكذا فالعالم له أجل مُسمى، وضعف الأجل المسمى للسموات والأرض.

وثالثاً: هناك قصة «الخلود في الآخرة»، إما في الجنة وإما في النار بحسب الأحوال، وذلك بعد موت الموت ذاته، والذى يدحض خدعة الخلود في الدنيا مصداقاً لقوله تعالى: **﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾** (٣٤/الأنبياء). وهى خدعة شيطانية تاريخياً، ويكفى أنها خدعت آدم في الجنة قديماً، مصداقاً لقوله تعالى: **﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾** (١٢٠/طه). وهكذا «موجز» المشهد القرآنى من بداياته.

مقدمة

١- بم يهدم العالم نفسه ؟

قصة مصر جزء من قصة «العالم»، الذى أصبح «أمة خاتم الرسل» (٢٨/سبأ). وقد حذره هذا الرسول سلفاً، مما يقوضه حتماً، أى انقلاب قيم الصدق والأمانة والجدية. وانقلابها رأساً على عقب، موضوعياً وشخصياً، وبالخداع وحده، ولحساب الكذب والخيانة والتفاهة، حتى تفاهة المتكلمين فى الشأن العام بأنواعه.

وذلك مصداقاً لقوله: **(سيأتى على الناس سنوات خداعات، يُصدق فيها الكاذب، ويُكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويُخون فيها الأمين. وينطق فيها الرويبضة. قيل: وما الرويبضة؟. قال: الرجل التافه يتكلم فى أمر العامة؟)**. (٣٦٥٠/٦٨١). وهذا الوضع المقلوب لا يليق مطلقاً بتلك الأمة، وذلك لما يلى:

فأولاً: يتمخض ذاك الخداع عن «غش» يُفسد كل شئ حتى الملة والأمة، وبالتالى فمآله حتماً إلى النار، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(من غشنا فليس منا. والمكر والخداع في النار)** (٦٤٠٨/١٠٩٤). وهو لا يطال غش الطعام فحسب، إنما يطال غش كل شئ، ويطال حتى غش التعليم، الذى يخشى منه الرسول على أمته خشية بالغة للغاية، مصداقاً لقوله: **(إن أخوف ما أخالف على أمتى الأئمة المضلون)** (١٥٥١/٣٢٢). بل حتى يخشى منه بقدر خشيته على أمته من الدجال فى آخر الزمان مصداقاً لقوله: **(غير الدجال أخوف على أمتى من الدجال، الأئمة المضلون)** (٤١٦٥/٧٦٤).

وثانياً: تتمخض تلك الأمة «شكلياً» عن أمة الأميين (٢/الجمعة)، فلا يتزودوا بعلمهم إلا من القرآن والسنة وحدهما ومباشرة، وهى خير الأمم منذ آدم حتى قيام الساعة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ (١١٠/آل عمران). وآخر الأمم تاريخياً، أى الأمة السبعون ترتيباً، مصداقاً لقول الرسول: **(إنكم تتمون سبعين أمة، أنتم خيرها، وأكرمها إلى الله)** (٢٨٢٥/٥٤٥).

وهى أول الأمم حساباً يوم القيامة، مصداقاً لقول الرسول: **((نحن آخر الأمم، وأول من يُحاسب، يقال: أين الأمة الأمية ونبيها. فنحن الآخرون الأولون)**(٦٧٤٩/١١٤٣). وهى تتمخض «موضوعياً» عن أمة مصطفة صفاً، وأمة عربية لغة، وأمة فهم ذوى الألباب، فهل مازالت كذلك؟.

٢- أهى أمة مُصطفة أم مُنفرطة؟

هذا سؤال مبدئى للغاية. وكان على المصريين أن يعرفوا إجابته منذ دخولهم فى الأمة الأمية ومجئ القرآن والسنة إليهم لأول مرة تاريخياً عام ٢٠هـ/٦٤٢م. فهذه الأمة بالذات ليست أمة مُنفرطة قولاً ولا فعلاً، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾ (٣/الصف).

فهى أمة مُصطفة، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(كونوا فى الصف الذى يلينى)** (٤٥٨٧/٨٤١). بل هى حتى مُصطفة «صفاً» ذا شأن فى وجودها وفى حياتها وفى نظامها وإلى مالا نهاية، وبالتالى خصه القرآن بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها، هى السورة رقم (٦١)، أى «سورة الصف»، ولو أن هذا الصف فى ذاته لم يزل غامضاً ومبهماً ومجهولاً إلى الآن.

رغم أن القرآن لم يُفرط فى بيان هذا الصف نوعياً وتاريخياً، وباعتباره «الصف المرصوص». بل حتى السنة بعدئذ لم تُفرط فى بيانه جغرافياً مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(إن الله زوى لى الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتى سيبلغ ما زوى لى منها)**(١٧٧٣/٣٦٤).

ومن باب حماية هذا الصف على الأقل، كان على المصريين أن يُلاحظوا تباعاً كيف أن تلك الأمة لم تعد مُصطفة قولاً وفعلاً على السواء، إنما أصبحت أمة مُنفرطة فى الأمرين معاً. وأن انفراطها لم يكن بسبب الاستعمار شماعة تأخرها المصطنعة، إنما كان بسبب حب الدنيا وكراهية الموت، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(يوشك أن تتداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قيل: يا رسول الله، فمن قلة يومئذ؟. قال: لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل. يجعل الوهن فى قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب عدوكم، لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت)** (٨٠٨٢/١٣٤٣).

وأن يلاحظوا أيضاً، كيف أن انفراطها أصبح يطال حتى «إسمها»، الذى هو «جماعة الأمة الأمية» كما جاء فى قول الرسول: **(من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ... ومن خرج على أمتى ...)** (٦٢٢٧/١٠٧٠). وصارت لهذا الإسم بدائله المصطنعة من قبل «الجماعات» على اختلاف مسمياتها، دون أن يحرك المشرع الوضعى ساكناً حيالها، اللهم إلا حل إحداها مؤخرا؟ دون نظيراتها، وكأنه يكيل بمكيالين، أو كأنها ليست جماعات خارج صف الأمة، أو كأن الأمة الأمية فى حاجة إلى وجودها.

وعلى أى حال، ليست للمصريين الخيرة من أمرهم بشأن هذا الصف المرصوص، الذى عليهم أن يتراصوا فيه وحده، وبإحسان، واسترضاء لله ورضاء به سبحانه وابتغاء الفوز العظيم (١٠٠/التوبة)، وبالتالى ليست لهم الخيرة بين جماعة الأمة الأمية وبين تلك الجماعات المصطنعة أياً كان مسماها.

٣- أهى أمة عربية أم قرشية؟

وهذا سؤال مبدئى آخر. وكان على المصريين أن يعرفوا إجابته منذ دخولهم فى الأمة الأمية ومجئ القرآن والسنة إليهم لأول مرة تاريخياً عام ٢٠هـ/٦٤٢م. فهى ليست أمة قرشية على الإطلاق، خاصة أن قريش أول قبائل العرب فناءً مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(أسرع قبائل العرب فناء قريش ...)** (٩٦٢/٢٢٦). وفناءها كاملاً لن يستغرق قرناً على الأكثر مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(لا تأتى مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم)** (٧١٨٧/١٢٠٦).

فالأمة الأمية هى أمة عربية بإطلاق، وبالتالى لم ينزل القرآن، إلا عربياً مصداقاً لقوله تعالى﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾(٢/يوسف). وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾(٣/الزخرف). ولو أن «عربية» القرآن لم تزل غامضة ومبهمة ومجهولة إلى الآن، وعلى يد المؤسسات اللغوية التى لم تنتسب إلى اللغة العربية إلا إسمياً على الأكثر.

وهى مؤسسات متباينة موجودة على مستوى العالم، فى شكل أكاديميات أو أقسام أو مجامع للغة العربية، بينما عملها لم يتجاوز بعد مجرد تعليم «طرق استعمال لغة قريش» أى تعليم النحو والصرف والإعراب والبلاغة والمطالعة والإملاء والتعبير والخط ... إلخ. وكأن هذه المؤسسات لم تزل في مهدها منذ أربعة عشر قرناً مضت، أى مجرد

«كتاتيب»، ولديها مفهومها الضيق عن اللغة العربية التى تمخضت عن لغة قريش وجاراتها وقت نزول القرآن، حتى لغتها المدفونة فى مدونات الشعر الجاهلى قبل نزول القرآن، وبالتالى أخذت تلك المؤسسات على عاتقها «إحياء الشعر» دون حق([1]).

([1]) وهذه المؤسسات منذ مؤسسة عبد الله بن عباس قديماً، لم تزل مسئولة عن «إحياء» الشعر دون حق .. انظر تاريخ هذا الإحياء فى عبد العظيم المطعنى: مسائل ابن الأزرق – مقالة فى مؤلف جماعى صادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – بعنوان «حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين» – ٢٠٠٢ – ص ١٣٥-١٣٨.
إذ أُقحم الشعر فى شروح القرآن وقصصه، تم فى خُطب الجمع بالمساجد، ثم فى دور التعليم، ثم فى نوادى الغاوين هواة كانوا أو محترفين، ثم فى مسابقات جوائز الموهوبين ... إلخ. رغم أن الشعر لم يكن موجوداً قبل نزول القرآن، إلا كنوع من الظلمات التى نزل هذا القرآن ليخرج الناس منها (١/إبراهيم)، وكنوع من لهو الحديث الذى يشمل الشعر والقصص الخيالى والجدل الفلسفى، وقد حظرها القرآن إجمالاً، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ (٦/لقمان).
ثم حظر القرآن تعليم وتعلم الشعر مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ**﴾(٦٩/يس). كما حظر الرسول حفظ الشعر مصداقاً لقوله: (**لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه، خير له من أن يمتلئ شعراً**)(٥٠٤٨/٩٠٠). أما ما كان محفوظاً منه قبل حظره، فلا يبقى بعدئذ إلا كإستثناء، وبالتالى مُقيد بالحفظة وحدهم دون زيادة، وحتى يفنوا فى غضون قرن على الأكثر مصداقاً لقول الرسول: (**لا تأتى مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم**)(٧١٨٧/١٢٠٦). ومقيد بموضوعه ككلام، فيقتصر على حسنه دون قبيحه مصداقاً لقول الرسول: (**الشعر بمنزلة الكلام، فحسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام**)(٣٧٣٣/٦٩٤).
لكنه مجرد استثناء، فلا يُقاس عليه، ولا على الاستثناء الآخر الخاص بحسان بن ثابت، والذى كان بدوره مقيداً بتأييد الروح القدس وبحياة الرسول، مصداقاً لقوله: (**إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح رسول الله**)(١٨٦٥/٣٨٠).
ولم يتمخض كلام العرب وشعرهم قبل نزول القرآن إلا عن حكمة واحدة، مصداقاً لقول خاتم الرسل بشأنها: (**إن من الشعر حكمة**) (٢٢١٩/٤٤١). وقوله بشأن كلام العرب: (**أشعر كلمة تكلمت بها العرب، كلمة لبيد: إلا كل شئ ما خلا الله باطل**)(١٠٠٤/٢٣٢). وقوله بشأن أشعار الشعراء: (**أصدق كلمة قالها الشاعر، كلمة لبيد: إلا كل شئ ما خلا الله باطل**) (١٠١٣/٢٣٤).

وهى بهذا فى واد، ولغة القرآن العربية فى واد آخر، وبالتالى ظلت معرفة المفسرين والمتكلمين والمتفيهقين بالقرآن وقصصه، معرفة ناقصة للغاية، بل حتى لم تتجاوز هذه المعرفة مجرد «الثلث» على أحسن تقدير وطوال الأربعة عشر قرناً الماضية، أى دون معرفة ثلثى القرآن وقصصه.

فلم تزل تنقصهم معرفة «لغة الصاد العربية الفاتحة» (١/ص~)، وبالتالى جاءت مناهجهم ومدوناتهم خالية من تأويل آيات هذه اللغة، مثل: الم، المص، المر، كهيعص، طسم، طس ... إلخ. كما تنقصهم حتى معرفة «لغة الضاد العربية الجامعة»، التى كان آدم أول من تلقاها مباشرة من ربه (٣١-٣٣/البقرة).

وهذا العيب الجسيم موجود فى أرباب تلك المناهج والمدونات، أكثر مما هو موجود فيها، وأكثر بكثير جداً، وبصرف النظر عن أشخاصهم وأزمانهم وأوطانهم وأسمائهم ومللهم طوال الأربعة عشر قرناً الماضية. ويكفى أنهم أقدموا على «التأليف» فى القرآن والسنة، بينما معرفتهم بلغة هذا القرآن العربية لم تتجاوز ثلثها دون ثلثيها على الأقل. أى استعجلوا كثيراً فى هذا التأليف، دون أن يكونوا مستعدين له إلا قليلاً، أو حتى أقل القليل.

وللأسف أن هذه المناهج والمدونات وأربابها لا يستظلون حالياً، إلا بظل تلك «الجماعات» التى يغض المشرع الوضعى طرفه عن وجودها، رغم أنها ليست موجودة إلا خارج صف الأمة الأمية، بل حتى تقاتل باستماتة من أجل بقائها خارج هذا الصف.

٤- أهى أمة فهم أم قراءة؟

وأيضاً هذا سؤال مبدئى للغاية. وكان على المصريين أن يعرفوا إجابته، منذ دخولهم فى الأمة الأمية ومجئ القرآن والسنة إليهم لأول مرة

تاريخياً عام ٢٠هـ/٦٤٢م. فالأمة الأمية ليست مجرد أمة قراءة، ولو كانت قراءة للقرآن، أو كانت قراءة له فى الصلاة، إنما هى أمة فهم على أى الأحوال وفى كل الأحوال، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ**﴾ (٤٣/النساء).

فدور قراءة القرآن لا يتجاوز مجرد السماع له والإنصات إليه على الأكثر، سواء من جانب القارئ أو من جانب غير القارئ، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ (٢٠٤/الأعراف). لذا يتمخض الا قتصار عليها وحدها دون فهمه، إما عن حبس القرآن فى الحلاقيم مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم)** (٣٦٥٤/٦٨١). وإما شربه شرباً مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(سيخرج أقوام من أمتى يشربون القرآن كشربهم اللبن)** (٣٦٥٣/٦٨١).

وبهذا، فلا جدوى مطلقاً من قراءة القرآن دون فهمه، حتى لو كانت هذه القراءة ماهرة للغاية ومصحوبة بحفظه عن ظهر قلب، وسواء كانت قراءة نهاراً أو كانت قراءة ليلاً، وحتى لو كانت قراءة فى ليلة القدر، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(إذا قام أحدكم من الليل، فاستعجم القرآن على لسانه، فلم يدر ما يقول، فليضطجع)** (٧١٧/١٨٤).

أما الماهر فى فهم القرآن، فله أجران، حتى ولو لم يكن ماهراً فى قراءته، بينما الماهر فى قراءته وفى فهمه معاً مأجور بأجر السفرة الكرام البررة، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة. والذى يقرؤه ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران)** (٦٦٧٠/١١٣٢).

وأما قراءة كافة مناهج الإنسان ومدوناته قبل وبعد نزول القرآن، فلا هى مأجورة، ولا مطلوبة، ولا مُجدية. بل هى حتى مثيرة للاضطراب حول

القرآن والسنة عادة. فهى لم تزل خالية – على الأقل – من تأويل أسماء وردت فى «عناوين» سورها مثل: يونس، هود، مريم، إبراهيم، نوح. ومن تأويل أسماء لم ترد فى عناوين سور مثل: أيوب، إرم، إلياس، اليسع، صالح.

هذا رغم أن القرآن لم يُفرط فى بيان أى شئ على الإطلاق (٣٨/الأنعام، ٨٩/النحل)، وبالتالى فلا يؤجر قارئ «سورة نوح» مثلاً ما لم يكن فاهماً لفظ نوح على الأقل، اللهم إلا إذا كان هذا القرآن مجرد كتاب مطالعة على الأكثر، وذلك أمر غير صحيح على الإطلاق.

لأن «لفظ نوح» فى القرآن والسنة من ألفاظ اللغة العربية الجامعة، ويعدل بعدئذ لفظ «شاكر» أو «عبد الشكور» باللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعدها بآلاف السنين، مصداقاً لقوله تعالى بشأن نوح وحده دون غيره من الأنبياء بإطلاق: ﴿**إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**﴾ (٣/الإسراء)، وذلك حتى لو كانت لغة قريش قبل نزول القرآن لم تعرف لفظ نوح أو لفظ عبد الشكور.

فهل معقول أن يقبل المصريون بعد مجئ القرآن والسنة إليهم منذ أربعة عشر قرناً، أن يكونوا جزءاً من أمة قراءة القرآن دون فهمه، وكأنها أمة المقرئين على الأكثر، أى «أمة اللاوعى» بالقرآن والسنة، رغم قول خاتم الرسل: **(نضر الله عبداً سمع مقالتى، فوعاها، ثم بلغها عنى، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)** (٦٧٦٥/١١٤٥)؟.

٥- محتويات المؤلف الراهن:

حاصل ما تقدم أن الأمة الأمية باعتبارها العالم مؤخراً، قد تعرضت لخيانة من داخلها، على يد جماعات ومؤسسات تعليم وأرباب مناهج

وأصحاب مدونات، أولئك الذين ركبوا دماغهم([1]) وآثروا اتباع تقاليد أسلافهم على اتباع القرآن والسنة مباشرة، وبصرف النظر عما فى تلك التقاليد من شيطنة، مصداقاً لقوله تعالى بشأنهم: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾ (٢٠و ٢١/لقمان).

ولم تزل خيانتهم تنال من أولوية الصف المرصوص، وأولوية لغات القرآن العربية، وأولوية فهم ذوى الألباب للقرآن، أى تنال من مبادئ ضرورية فى حياة ونظام الأمة الأمية، وبالتالى لم تزل تنال حتى من «دور مصر» فى المشهد القرآنى منذ بداياته جغرافياً وتاريخياً ولغوياً ودينياً، رغم أن بيان هذا الدور أمر ضرورى للمصريين على الأقل. ومن ثم تتوزع محتويات المؤلف الراهن على ما يلى:

المطلب الأول: أرض مباركة فى مصر.

المطلب الثانى: الأرض ذات الأوتاد.

المطلب الثالث: أرض مصر.

المطلب الرابع : رجال حول موسى.

المطلب الخامس: مصر والأمة الأمية.

([1]) ومشكلة هؤلاء فى رضائهم بما هم فيه من تناقض صارخ: ١- فلا يُنكرون وجود «إسرائيليات» تسربت بكثافة إلى مناهجهم ومدوناتهم، ولا يسعون إلى كشفها أو إزالتها أو حتى تجنبها على الأقل. ٢- ولا يُنكرون وجود اثنتين وسبعين فرقة أو ملة فى النار، وكلها ملونة إسلامياً على الأكثر، ولا يسعون إلى كشفها أو وأدها أو حتى الإفلات منها على الأقل. ٣- وهم بهذا لم يُنكروا وجود تلك الإسرائيليات والجماعات إلا ظاهرياً، إنما فى الباطن يعملون تقليدياً على إنمائها، وبالتالى خشى الرسول منهم على أمته خشية بالغة للغاية، مصداقاً لقوله: **(إن أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان)** (١٥٥٤/٣٢٣).

وسيلاحظ القارئ أن المؤلف الراهن، وإن لم يكن عصياً على الانتقاد المُرحب به دائماً لو كان مُوثقاً قرآناً أو سنة، لكنه سيظل يفوق غيره من حيث الأفضلية العلمية، ويفوقه من كل وجه، ويفوقه بآلاف المرات، وبآلاف المسافات. وذلك أمر مقصود، من أجل تعزيز معرفة القارئ وتمكينه وتحفيزه نحو عمل الأفضل منه، وبما يليق بإسهام مصر في المشهد القرآنى من بداياته. فلم تعُد الناس فيها تُقدم كثيراً على القراءة، التى لم تبرح مكانها أو زمانها بعد، أى لم تزل مُكبلة بلغة وشروح القرون الوسطى، وبعيدة عن لغات القرآن وتأويله بالحق. والله الموفق.

المؤلف

المطلب الأول
أرض مباركة
فى مصر

تنويه:

قصة مصر جزء من قصة «العلم» science الذى لم يتجرد يوماً من نوعه ودرجته ومناطه، لكيلا يختلط مطلقاً بنقيضه. **فأولاً:** هناك العلم النافع الذى يجب الإقدام عليه، والعلم غير النافع الذى يجب الإحجام عنه، بل يجب حتى التعوذ بالله منه، ولو كان جدلاً فلسفياً أو شعراً مُنمقاً أو قصصاً خيالياً، أى مجرد لهو حديث، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(سلوا الله علماً نافعاً، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع)** (٣٦٣٥/٦٧٩).

وثانياً: حتى العلم النافع ليس هو «الفهم»، أى «فضل العلم» الذى هو علم زائد يهبه الله لمن يشاء، ولا يهبه لغيره حتى لو وهبه سبحانه علماً نافعاً، مصداقاً لقوله تعالى بشأن داود وسليمان: ﴿**فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾(٧٩/الأنبياء). لذا ليس بالضرورة كل العالمين بالقرآن والسنة فاهمين لهما، أو فاهمين لهما أكثر من غيرهم على الأقل، بل هم حتى مجرد حملة لهما على الأكثر، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(فرُبَّ حاملِ فقهٍ غير فقيه، ورُبَّ حاملِ فقهٍ إلى من هوَ أفقهُ منه)** (٦٧٦٥/١١٤٥).

وثالثاً: حتى العلم النافع والفهم هما «البيان» الذى مصدره الله وحده، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**خَلَقَ الْإِنسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ (٣، ٤/الرحمن). وقد تكفل سبحانه بوجود هذا البيان بعدئذ فى القرآن ذاته، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾ (١٩/القيامة). وبذا يجب تقييد العلم النافع والفهم بالبيان الموجود فى القرآن، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(قيدوا العلم بالكتاب)** (٤٤٣٤/٨١٦)، الذى نزل ليخرج الناس من الظلمات عامة (١/إبراهيم)، ومن اللهو خاصة (٦٤/الإسراء)، ومن لهو الحديث بالأخص (٦/لقمان)، ولو لم تحظ تلك الدوائر الثلاث بأى اهتمام أكاديمى عالمياً حتى الآن، وكأن الناس قد خرجت منها بالفعل، أو كأنها التهمت الناس مؤخراً.

مقدمة المطلب

٦- أول معلم جغرافى فى مصر :

حتى «لفظ مصر» لم ينج من التقصير فى حقه إلى الآن. فمثلاً، مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى صفحة (٥٨٣-٥٨٤) من معجمه الوجيز عام ١٩٩٧، لم يذكر شيئاً ذا بال عن «ماهية» هذا اللفظ، أو «محل» هذا الإسم، أو متى نشأ لأول مرة تاريخياً، أو كيف نشأ، أو نظيره السابق عليه تاريخياً أو اللاحق عليه بحسب الأحوال. وكأن هذا المجمع قد ترك «لفظ مصر» نهباً للغموض أو التخمين أو هما معاً بحسب الأحوال.

رغم أن مسألته ليست لغوية فحسب، ولا مؤقتة، ولا بسيطة بالنسبة للمصريين واحداً بواحد. لذا، حتى المشرع الدستورى المصرى لم يعرف «محل» هذا الإسم بعد، الذى لم يكن إسم ملكية من قبل، ولن يكون إسم جمهورية من بعد، ولو نصت المادة الأولى من الدستور الحالى على العكس، الذى يستحيل عقلاً ومنطقاً تصديقه، بل حتى يثير الاضطراب حول هذا اللفظ حتماً.

بينما محل المسألة «اصطلاح قانونى» موجود سواء فى القرآن (٢١ و ٩٩/يوسف) أو فى السنة أو فى الدستور المصرى، أى هو اصطلاح فى القانون إلهياً ووضعياً على السواء، ولو لم يزل ضحية الغموض والإبهام والتجهيل إلى الآن، ومنذ مجئ القرآن والسنة إلى مصر لأول مرة تاريخياً عام ٢٠هـ/٦٤٢م، رغم أن هذا القرآن لم يُفرط فى بيان أى شئ على الإطلاق (٣٨/الأنعام، ٨٩/النحل).

وفى هذا القرآن، معلم مصر جغرافياً أسبق فى الوجود تاريخياً من إسمها، وأسبق بآلاف السنين، بل أسبق حتى من خلق آدم. وهذا المعلم

الجغرافى لا يقتصر على أوتادها خاصة (١٢/ص~)، إنما يطال حتى مغاربها المباركة (١٣٧/الأعراف)، وكلاهما جعله الله فى أرضها فى اليومين التاليين ليومى خلق الأرض بوجه عام (١٠/فصلت). ومن ثم تتوزع محتويات المطلب الراهن على ما يلى:

الفرع الأول: نشأة المغارب المباركة.

الفرع الثانى: تمييز المغارب المباركة.

الفرع الثالث: جانب المغارب المباركة.

الفرع الرابع: قمة المغارب المباركة.

الفرع الخامس: عودة إرم إلى الأحقاف.

الفرع الأول

نشأة

المغارب المباركة

٧- متى نشأت مغاربها؟

هذه المغارب المباركة هى إحدى الرواسى التى جعلها الله فى الأرض من فوقها وبارك فيها، وذلك فى اليومين التاليين ليومى خلق هذه الأرض، مصداقاً لقوله تعالى فى هذا الشأن: ﴿**خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ... وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ**﴾ (٩ و ١٠/فصلت).

وهى بهذا الاعتبار، «معلم جغرافى مبارك»، ليس فقط فى أرض الله بوجه عام، إنما أيضاً فى الأراضين التى باركها سبحانه فى أرضه بوجه

خاص، بل حتى فى أرض مصر من قبل تسميتها بأى إسم على الإطلاق، أى معلم جغرافى مبارك فى أرضها بوجه أخص.

وهذا المعلم الجغرافى، ليس معلماً إقليمياً وعالمياً فحسب، إنما أيضاً يتمخض عن أحد الجبال مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا**﴾ (٣٢/النازعات). أو بالأحرى أحد الأوتاد مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا**﴾ (٧/النبأ). لكنه ليس جبلاً أو وتداً عادياً، إنما هو جبل أو وتد غير عادى، أو بالأحرى هو جبل أو وتد «مبارك»، بل حتى هو وحده الجبل المبارك إقليمياً وعالمياً، فلا يوجد غيره أى جبل أو وتد مبارك، لا فى مصر، ولا فى غيرها من بقاع الأرض.

فلا يجب بعدئذ الخلط بين هذا الجبل أو الوتد المبارك وحده عالمياً، وبين أى جبل آخر حتى لو أدى دوراً مشهوراً فى التاريخ دون أن يكون جبلاً مباركاً، كجبل أحد مثلاً، الذى شهد غزوة أُحد، وقال خاتم الرسل بشأنه: **(أحد جبل يحبنا ونحبه)**(١٩١/٩٩). وقوله أيضاً: **(أثبت أُحد، فإنما عليك نبى، وصديق، وشهيدان)** (١٣١/٨٨).

٨- كيف نشأت مغاربها؟

هذه المغارب واحدة من الأراضين التى باركها الله فى الأرض بعد خلقها، أى «الأراضين المباركة» عالمياً حتى الآن، ولو لم يشهد أحد خلقها قديماً ولا خلق الأرض بوجه عام ولا خلق السموات، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ**﴾(٥١/الكهف).

فلم يشهد أحد «خلق» السموات والأرض، ولا «طوى» هذه السموات والأرض لأول مرة تاريخياً، توطئة لوضعهم نسبة إلى بعضهم، أى توطئة

لرفع السموات فوق الأرض، ووضع الأرض تحت السماء العُلى. لكن القرآن لم يُفرط فى بيان تلك الأمور التى هى جزء لا يتجزأ من المشهد القرآنى، بل حتى لم يُفرط فى بيانها خطوة بخطوة وذلك كما يلى:

فأولاً: بعد خلق الأرض، خلق سبحانه سبع سماوات فى يومين، مصداقاً لقوله تعالى: **﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء ... فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا﴾**(١١ و ١٢/فصلت). وذلك بعد أن خلق سبحانه سبع أرضين فى يومين من قبل، مصداقاً لقوله تعالى: **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾** (١٢/الطلاق).

وثانياً: ثم طوى سبحانه هذه السماوات وتلك الأرضين لأول مرة تاريخياً، وكطى السجل للكتب، وكما سيحدث لهذه وتلك مستقبلاً ولآخر مرة تاريخياً يوم القيامة مصداقاً لقوله تعالى: **﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾** (١٠٤/الأنبياء). وقوله تعالى:**﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** (٦٧/الزمر).

وقول خاتم الرسل: **(يطوى الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوى الأرضين، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟)**(٨١٠١/١٣٤٦). ولا محل مُطلقاً للزعم بعدئذ أن الله لم يخلق سبع أرضين، أى لم يخلق سبحانه أكثر من أرض واحدة على نحو الظاهر للعيان.

وثالثاً: رفع سبحانه السماء فوق الأرض، ونسبة إلى السماء ذاتها وباستواء وفقاً للميزان مصداقاً لقوله تعالى: **﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ**

الْمِيزَانَ﴾ (٧/الرحمن). كما وضع سبحانه الأرض تحت السماء العُلى مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ**﴾ (١٠/الرحمن). وبينهما ثلاث مسافات متباينة من حيث طولها. فأبعد الأرض مسافة عن السماء هو أدنى الأرض (٣/الروم). وأقرب الأرض مسافة إلى السماء هو أعلى الأرض. وما يتوسطهما مسافة بين الأرض والسماء هو: مركز الأرض.

وهذه هى الأراضين الثلاث المباركة عالمياً، أى أدنى الأرض، ومركز الأرض، وأعلى الأرض. وهى ليست مُعينة نسبة إلى الأرض وحدها دون السماء، ولا نسبة إلى السماء وحدها دون الأرض، إنما هى معينة نسبة إليهما معاً، أو بالأحرى نسبة إلى وضعهما من بعضهما، وما بينهما من مسافات ثلاث متباينة من حيث قربها أو بعدها.

لكن هذه الأراضين الثلاث ليست فى قرية واحدة، ولا فى قريتين، إنما فى قرى ثلاث مُتباينة، لكنها قرى مباركة على أى الأحوال، مصداقاً لقوله تعالى بشأنها: ﴿**وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ**﴾ (١٨/سبأ).

٩- ماذا تعدل مغاربها المباركة؟

هذه المغارب المباركة إلى الآن (١٣٧/الأعراف)، لا هى تعدل أدنى الأرض، ولا هى تعدل مركز الأرض. لأنها لا تعدل إلا أعلى الأرض، أى أعلى أرض الله بوجه عام، وأعلى أرض فى مصر بوجه خاص، وذلك منذ خلق الله الأرض عامة.

لذا، لما كان بنو إسرائيل صحبة موسى فى تلك الأرض المباركة أى فى أعلى أرض بمصر، وطالبوه بطعام أرضى بديلاً عن الطعام السماوى الذى كان ينزل إليهم وقتذاك، أمرهم موسى على الفور بالهبوط إلى أدنى

أرض بمصر حيث يوجد طلبهم، مصداقاً لقوله تعالى على لسانه: **﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾**(٦١/البقرة)، أى اهبطوا من مصر العليا إلى مصر الدنيا جغرافياً.

وبهذا لم يكن لأحد أن يتكلم – بعدئذ – عن «جنوب مصر» باعتباره مصر العليا، التى اتحدت قديماً مع مصر السفلى على يد «مينا موحد القطرين»، ولو أن هذا الكلام الفارغ لم يزل شائعاً لدى أهل التاريخ فى مصر إلى الآن. وهو مبنى على تصورهم أن أعلى وأدنى مصر جغرافياً يتبع ميل مجرى النهر من الجنوب إلى الشمال.

بينما الحقيقة أن أعلى وأدنى مصر جغرافياً، لا يتبع سوى أعلى أرض الله بوجه عام فى المغارب المباركة. بل الحقيقة حتى أن توحد مصر من شمالها إلى جنوبها ومن مشارقها إلى مغاربها المباركة، لم يتحقق قديماً إلا على يد «ملك نبى» فى مصر، وبالتالى لم تزل حدودها جغرافياً قائمة إلى الآن منذ آلاف السنين، ولو لم يخطر ببال أحد أن يستعين بتلك الحدود الجغرافية القديمة زمنياً والراسخة تاريخياً، حال النزاع على تبعية جزيرتى تيران وصنافير فى البحر الأحمر، أو حتى حال النزاع على تبعية مثلث حلايب وشلاتين فى جنوب مصر. أى لم يخطر ببال أحد أن القرآن لم يُفرط حتى فى بيان هاتين المسألتين (٣٨/الأنعام، ٨٩/النحل)، بل لم يخطر ببال أحد بعد أن مبدأ: أن القـــرآن لم يُفرط فى بيان أى شئ على الإطلاق ونزل تبياناً لكل شئ بإطلاق، هو واحد من مبادئ الشريعة.

١٠- هل بيت المقدس مبارك؟

هذا البيت قديم زمنياً وراسخ تاريخياً. لكنه ليس أقدم أو أرسخ من البيت العتيق، الذى أقيم قبله بأربعين سنة، ولو أنهما قد أقيما لأول مرة تاريخياً فى القرن الأول من الثلث الأخير من عمر آدم والذى بلغ ألف سنة إلا أربعين. كما أن البيت العتيق مُبارك (٩٦/آل عمران)، بينما بيت المقدس فى ذاته ليس مُباركاً.

فالأراضين المباركة عالمياً واردة عداً وحصراً فى القرآن والسنة، وليس منها بيت المقدس، وبالتالى فهو ليس مُباركا فى ذاته، إنما المبارك هو ما «حوله» مصداقاً لقوله تعالى بشأنه: ﴿**الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾ (١/الإسراء).

بل حتى المبارك هو ما حوله عن بُعد وليس عن قُرب، ومن ناحيتين وليس من جميع نواحيه. فالمبارك هو ما حوله «غرباً» أى أدنى الأرض فى الشام قبل تسميته بهذا الاسم بآلاف السنين، و «شرقاً» أى أعلى الأرض فى مصر قبل تسميتها بهذا الإسم بآلاف السنين. ولكون هذا البيت يتوسط بينهما جغرافياً، فقد أسرى إليه من مركز الأرض (مكة) بالرسول صحبة جبريل، وعُرج بهما منه ليلة المعراج، وكأنها بهذا رحلة بدأت من كافة الأراضين المباركة إلى السماء والعودة فى ليلة واحدة.

إذن الأراضين المباركة عالمياً عصية على الإضافة إليها أو الإنقاص منها، بطريق القياس أو بطريق الاجتهاد أو بأى طريق، وبالتالى ليس صحيحاً ما يقوله الإيرانيون مؤخراً عن «قم المقدسة»، ولا ما يقوله العراقيون مؤخراً عن «كربلاء المقدسة»، ولا ما يقوله الأزهريون فى مصر مؤخراً عن «الأزهر الشريف» مثلاً وكأنه الشريف بدلاً من المصحف

والحديث النبوى، أو كأنه الشريف وحده دون غيره من دور التعليم فى مصر أو فى غيرها. وعلى أى حال، مثل هذه التسميات لا تنم إلا عن «كهانة» مستترة تقف خلفها وتستثمر وجودها.

الفرع الثانى

تمييز

المغارب المباركة

١١- تمييزها عن أدنى الأرض؟

أدنى الأرض هى أرض قائمة بذاتها، ومُباركة، وأسهمت فى المشهد القرآنى من بداياته، كما يلى على الأقل. **فأولاً:** من معالمها جغرافياً وجود «التنور» الذى هو بيت للمياه الجوفية الأقرب إلى سطح الأرض فى هذه البقعة. وبفورانه بدأ طوفان نوح بأمر ربه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ**﴾ (٤٠/هود).

وقول خاتم الرسل: (**رأيت الليل رجلين ... فأخرجانى إلى الأرض المقدسة ... فانطلقت معهما، فإذا بيت مبنى على بناء التنور. أعلاه ضيق وأسفله واسع ...**) (٣٤٦٢/٦٥١). إذن ذاك التنور لم يكن موجوداً بالأحقاف حيث صنعت سفينة نوح وكانت متأهبة للملاحة فى انتظار الطوفان.

وثانياً: شهدت تلك الأرض المقدسة هجرة إبراهيم ولوط إليها، بأمر ربهما، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي**﴾ (٢٦/العنكبوت). وقوله تعالى: ﴿**وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا**

فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (٧١/الأنبياء). وكانت المؤتفكة (٥٣/النجم) جانباً من تلك الأرض، واختص بها لوط نبياً فيها على استقلال.

وهما الأرض المباركة والمؤتفكة باللغة العربية الجامعة، التى كانت موجودة وحدها حتى عصر إبراهيم ولوط. وهما بعدئذ مدين والأيكة بالعربية الخاتمة، وبعد وفاة إبراهيم ولوط، حيث بُعث فيهما نبياً إسحق بالعربية الجامعة أى شعيب بالعربية الخاتمة (٨٤/هود، ١٧٧/الشعراء). وبعده بُعث فيهما نبياً يعقوب بالعربية الجامعة أى إسرائيل بالعربية الخاتمة. وكانتا «بدواً» (١٠٠/يوسف) حتى رحل منها يعقوب وبنوه إلى مصر ضيوفاً على إبنه الملك يوسف النبى آنذاك.

وبعدئذ رفض بنو إسرائيل العودة إلى هذه الأرض صحبة موسى وهارون بعد غرق فرعون وخروجهم نهائياً من مصر، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ... يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ. قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ**﴾ (٢٠ و٢١ و٢٢/المائدة).

لذا لم يشهد هارون وموسى ووالدهما عمران دخول بنى إسرائيل إلى تلك الأرض، التى لم يدخل بهم إليها إلا يوشع بن نون بعد بعثته نبياً فيهم (٢٤٦/البقرة)، وقبل أن يكون طالوت ملكاً عليهم. ولو أن مدين قد استقبلت موسى مهاجراً من مصر (٢٢ و٢٣/القصص)، وفاراً من ملأ فرعون، وذلك قبل بعثته بعشر سنين، وهناك تبناه «الشيخ الكبير» الذى زوجه إحدى ابنتيه.

ومن معالم هذه الأرض جغرافياً وجود «واد النمل» الذى أتاه سليمان وجنده، وتبسم ضاحكاً من قول النملة (١٨/النمل)، التى لم تُحسن حراسة بقية النمل فى هذا الواد فحسب، إنما أيضاً لم تغفل عن سابق مأساة النمل فيه على يد نبى سابق، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(نزل نبى من الأنبياء تحت شجرة، فلدغته نملة. فأمر بجهازه فأخرج من تحتها، ثم أمر ببيتها فأحرق بالنار. فأوحى الله إليه، فهلا نملة واحدة؟)** (٦٧٥٩/١١٤٤). وقوله أيضاً: **(قرصت نملة نبياً من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت. فأوحى الله تعالى إليه: أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح؟)** (٤٣٨٨/٨٠٩).

وثالثاً: شهد أدنى الأرض حرب الروم والفرس حال حياة خاتم الرسل، حينما غلبت الروم، التى لم تلبث أن غلبت الفرس بعدئذ فى بضع سنين (٤-٦/الإسراء)، ولو لم يأت ميعاد الحرب الثانية على بنى إسرائيل بعد (٧ و٨/الإسراء)، إنما ميعادها حتماً قبل يوم القيامة على الأكثر.

١٢- نطاق دور أدنى الأرض :

لم يقم أدنى الأرض بأى دور فى المشهد القرآنى، قبل الدور الذى أداه فى طوفان نوح ومن خلال التنور، وبالتالى لم يحظ هو فى ذاته بأى «إسم» من ألفاظ لغة الصاد العربية الفاتحة، التى كانت لغة الملائكة وحدهم قبل خلق البشر الأرضى جناً وإنساً.

بل إن أدنى الأرض فى ذاته لم يحظ حتى بأى «إسم» من ألفاظ اللغة العربية الجامعة، اللهم إلا ألفاظ: «التنور» و «المؤتفكة» (٥٣/النجم) و «المؤتفكات» (٧٠/التوبة) باعتبارها جزءاً من تلك الأرض المباركة.

لأن أدنى الأرض سيكون يوم القيامة «مكان» المحشر والمنشر، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(الشام أرض المحشر والمنشر)** (٣٧٢٦/٦٩٣). إنما هذا المكان أرض غير الأرض التى عهدناها فى الحياة الدنيا، بل حتى بعد زوالها هى والسموات يومئذ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ (٤٨/إبراهيم).

فالأرض يومئذ هى «ماء» البحر المسجور فى نشأته الآخرة تاريخياً، والتى سيشهدها الناس بعد أن فاتهم قديماً أن يشهدوا نشأته الأولى تاريخياً مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(يُحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة النقى، ليس فيها معلم لأحد)** (٨٠٤٤/٢٣٣٨). وهم يُحشرون بالشام باعتباره وسط دار الإسلام، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(عقر دار الإسلام بالشام)**(٤٠١٤/٧٤٣).

١٣- تسمية أعلى الأرض بلغة الصاد العربية:

المغارب المباركة ليست أدنى الأرض، إنما أعلى الأرض، الذى بدوره هو «جبل قاف» واختصاراً «ق» بلغة الصاد العربية الفاتحة التى كانت موجودة وحدها قبل خلق البشر الأرضى جناً وإنساً. وقد خص القرآن هذا «الجبل» بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها، هى السورة رقم (٥٠)، أى «سورة ق».

كما خصه القرآن بموضوع آية قرآنية قائمة بذاتها، بل خصه حتى بموضوع الآية الأولى فى سورته، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ**﴾ (١/ق). وبمعنى أن جبل قاف هو أعلى الأرض، لكنه الأعلى فيها فحسب، بينما القرآن أعلى وأعلى وأعلى، أى الأعلى فى الأرض،

والأعلى فى السموات العُلى، والأعلى فى الأفق الأعلى مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ (٣ و ٤/الزخرف)، وقول خاتم الرسل: **(إن أعلى قمة فى الأرض هو جبل قاف)** (١).

فهو إذن أعلى حتى من جبل إيفرست فى الهملايا، وأعلى منه بكثير، حتى لو كان ارتفاع الأخير مُقاساً من سطح البحر إلى قمته هو ٩كم، وبالتالى فلا وجه مطلقاً للمقارنة بينهما بعدئذ، ولا – حتى – للمقارنة بين جبل قاف وغيره من جبال الأرض بإطلاق.

وتسمية هذا الجبل أى «جبل قاف»، ليست فقط أسبق فى الوجود تاريخياً من خلق البشر الأرضى جناً وإنساً، إنما هى أيضاً أسبق فى الوجود تاريخياً من تسمية الأرض التى يتبعها هذا الجبل جغرافياً، أى أسبق من تسميتها بأى إسم كان.

وحاصل ما تقدم أن قاف بالعربية الفاتحة، ليست مجرد حرف من الحروف الهجائية العربية، ولا هو أقل من لفظ كامل، ولفظ قائم بذاته ومن ألفاظ لغة الصاد العربية، بل هو حتى إسم جبل هو أعلى جبل فى الأرض بإطلاق، وبالتالى خصه القرآن بآيتين قرآنيتين، آية هى عنوان سورته، وآية أولى فى سورته.

١٤– تسمية أعلى الأرض بلغة الضاد:

جبل قاف بلغة الصاد العربية قبل خلق آدم، هو جبل الطور بلغة الضاد العربية التى نشأت بعد خلق آدم. وهو لم يزل جبل قاف بلغة

---

(١) الثعالبى: عرائس المجالس.

الصاد وجبل الطور بلغة الضاد، فكلاهما إسم بلغة قائمة بذاتها. ولغة عربية، ولغة قائمة إلى الآن على الأقل، أى لم تندثر بمرور الزمان آلاف السنين عليها.

لذا خص القرآن هذا الجبل أيضاً بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها أخرى، هى السورة رقم (٥٢)، أى «سورة الطور» كما خصه بموضوع آية قرآنية قائمة بذاتها، بل خصه حتى بموضوع الآية الأولى فى سورته مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَالطُّورِ**﴾ (١/الطور).

وكذا الأرض التى يقع هذا الجبل فى مغاربها، شهدت بدورها تسميتها لأول مرة تاريخياً، أى «الأرض ذات الأوتاد» (١٢/ص~ ، ١٠/الفجر) بالعربية الجامعة وذلك قبل آلاف السنين من تسميتها بعدئذ «أرض مصر» واختصاراً «مصر» (٢١ و٩٩/يوسف) بالعربية الخاتمة.

١٥- تسمية أعلى الأرض بالعربية الجامعة:

هو جبل «طور سينين» (٢/التين) باللغة العربية الجامعة، التى كان آدم أول من تلقاها من ربه مباشرة (٣١-٣٣/البقرة)، وذلك قبل آلاف السنين من وجود اللغة العربية الخاتمة التى كان إسماعيل أول من تلقاها مباشرة من ربه، واستحدثت معها «الهمزة لأول مرة تاريخياً»، وبالتالى فهو بعدئذ جبل «طور سيناء» (٢٠/المؤمنون).

ولم يزل طور سيناء بمثابة المغارب المباركة فى أرض مصر التى أورثها الله لأهلها، غداة غرق فرعون وخروج بنى إسرائيل منها نهائياً صحبة موسى وهارون فى منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا**﴾ (١٣٧/الأعراف).

وقد أسهمت هذه المغارب المباركة بدور كبير فى المشهد القرآنى من بداياته، سواء بجانبها الغربى أو الأيمن، أو بقمتها الأعلى فى الأرض بوجه عام.

الفرع الثالث

جانب

المغارب المباركة

١٦- جانب الغربى :

جانب الغربى هو اختصار «جانب المغارب المباركة»، وكلاهما بالعربية الخاتمة، وبمعنى جانب جبل قاف بالعربية الفاتحة قبل صيرورته جانب الطور بالعربية الجامعة. وهذا الجانب لم يشهد خاتم الرسل أدواره التاريخية، ولا حتى دوره فى إطار بعثة موسى قبل ألفى سنة من بعثة خاتم الرسل، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ**﴾ (٤٤/القصص).

١٧- أسهم فى نشأة آدم مادياً :

بل إن هذا الجانب الغربى القديم زمانياً والراسخ تاريخياً منذ جبل قاف، قد أسهم فى نشأة آدم مادياً من التراب، وذلك قبل بداية خلقه مادياً من طين، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ**﴾ (٦٧/غافر). وقوله تعالى: ﴿**وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ**﴾ (٧١/السجدة).

فمن هذا الجانب الغربى، كانت قبضة التراب التى خُلق منها آدم، وذلك بعد أن طوى الله الأرض وحدها وعلى استقلال ولأول مرة تاريخياً، لكى تكون قبضة التراب الكافية واللازمة والمأخوذة منها ممثلة للأرض

بوجه عام، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض. فجاء بنو آدم على قدر الأرض. جاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود، وبين ذلك. والسهل، والحزن. والخبيث، والطيب، وبين ذلك)** (١٧٥٩/٣٦٢).

وطوى الأرض على استقلال هو بهذا خلق من خلق الله، وخلق قائم بذاته، وله إذن نشأتان متعاقبتان زمانياً ومتباعدتان تاريخياً (٤٩/الذاريات)، ويجب التمييز بين نشأتيه (٢٠/العنكبوت). فإلى جانب نشأته الأولى تاريخياً على نحو ما تقدم بيانه، فإن له نشأة آخرة تاريخياً مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتى سيبلغ ما زوى لى منها)** (١٧٧٣/٣٦٤).

وبدهى أن هذا «الطوى» بنشأتيه، يختلف تماماً من «طوى» السماوات والأرض معاً، والذى بدوره خلق قائم بذاته، وكانت نشأته الأولى تاريخياً حال رفع السماء ووضع الأرض، على نحو ما تقدم بيانه، بينما نشأته الآخرة تاريخياً ستكون يوم القيامة (٦٧/غافر، ١٠٤/الأنبياء).

١٨- الواد المقدس طوى :

إذن جانب الغربى هو «الواد المقدس طوى» باللغة العربية الجامعة، أى «الواد الأيمن»، حيث نودى موسى ليلة بعثته من شاطئ هذا الواد، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ (٣٠/القصص). وقوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**﴾ (١٥ و ١٦/النازعات).

أما تلك الشجرة الموجودة، فكانت «شجرة طيبة»، أى شجرة معمرة وجذورها ضاربة فى الأرض، وطلعها يعلو فى جو السماء، وتؤتى أكلها كل حين بإذن ربها، مصداقاً لقولها تعالى: ﴿**كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا**﴾ (٢٤ و٢٥/إبراهيم). وهى بهذا «النخلة»، مصداقاً لقول خاتم الرسل: (**أخبرونى بشجرة شبه الرجل المسلم. لا يتحات ورقها، ولا ولا ولا. تؤتى أكلها كل حين؟ هى النخلة**)(١٠٤/٢٢٠). وهى النخلة التى ستهزها مريم أم المسيح بعدئذ، أى بعد أن يجيئها المخاض إلى جذعها.

١٩- ربوة ذات قرار ومعين :

الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة، هو الواد المقدس طوى باللغة العربية الجامعة (١٦/النازعات)، وهو «ربوة ذات قرار ومعين» باللغة العربية الخاتمة (٥٠/المؤمنون) التى جاءت بعدها بآلاف السنين. ومن ثم، فهى الربوة التى أتاها موسى ليلة بعثته مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى. إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**﴾ (١١ و١٢/طه). فموسى لم يتلق اللغة العربية الفاتحة، ولا حتى اللغة العربية الجامعة، وبالتالى لم يكن يعرف أنه بالواد المقدس طوى الذى يجب ألا يخوض بنعليه فيه.

وفى هذه الربوة ذاتها آوى الله بعدئذ بألف وخمسمائة سنة على الأقل، عيسى وأمه مريم، وكان جنيناً فى بطنها، حتى وضعته، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ**﴾ (٥٠/المؤمنون).

فقد تقبل الله مريم بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً، وكفلها زكريا طوال وجودها فى المحراب (٣٧/آل عمران) تركع وتسجد مع الراكعين، وحتى خرجت منه بعدئذ. وابتعدت عن أهلها مكاناً شرق بيت المقدس، وبالتالى احتجبت عنهم تماماً مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا. فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا ...**﴾ (١٦ و١٧/مريم).

ثم ابتعدت عنهم وعن موطنها مكاناً شرقياً وقصياً عن بيت المقدس، وذلك منذ حملت بإبنها، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ..**﴾ (٢٢/مريم).

وفى هذا المكان الشرقى القصى عن بيت المقدس، جاء مريم المخاض إلى جذع الشجرة الموجودة فى البقعة المباركة منذ عصر موسى، أى جاءها المخاض إلى جذع النخلة، وبالتالى ناداها إبنها وهو فى مهده لكى تهز هذه النخلة وتأكل مما يتساقط من تمرها، وأن تشرب من ماء المعين الموجود، وتقر عيناً، مصداقاً لقوله تعالى:﴿ **فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا. فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا. وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا. فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا**﴾ (٢٣-٢٦/مريم).

وبعدها حملته وعادت أدراجها إلى وطنها الأصلى وقومها، ولو لم تلبث مريم أن عادت بإبنها صغيراً إلى مصر مرة أخرى، خوفاً على حياته فى موطنهما الأصلى آنذاك، ولو لم يكن هذا الموطن هو محل ميلاده، خاصة أنه موجود فى أدنى الأرض، وليس فى أعلى الأرض.

٢٠- إسهام فى نشأتى الإنسان مادياً :

إذن أسهم «الواد المقدس» فى نشأتى الإنسان مادياً باعتباره خلقاً قائماً بذاته، وله إذن نشأتان متعاقبتان زمانياً ومتباعدتان تاريخياً (٤٩/الذاريات)، ويجب التمييز بين نشأتيه (٢٠/العنكبوت). فهو فى نشأته الأولى تاريخياً «آدم»، بينما فى نشأته الآخرة تاريخياً هو «عيسى»، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ (٥٩/آل عمران).

وكلاهما ليس جسداً مادياً فحسب، إنما هو أيضاً نفخه من روح الله، سواء آدم (٢٩/الحجر،٧٢/ص~)، أو عيسى (١٢/التحريم،٩١/الأنبياء)، ولو أن الله قد أمر الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا له أجمعون (٣٤/البقرة، ٣/الحجر، ،٧٢/ص~)، دون أن يأمرهم سبحانه بالسجود لعيسى بعدئذ فلم يسجدوا له أجمعون، وبالتالى لم يعد هناك أى محل للبس بشأن طبيعة عيسى كإنسان جديد، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ (١٥/ق).

بل حتى عيسى كموسى، وموسى كعيسى، أى كلاهما إنسان، ومن بنى إسرائيل، وبعث نبياً، ومن مواليد مصر، ولو أن عيسى من مواليد مغاربها المباركة، بينما موسى كهارون وابن نون وعمران ولقمان وهامان وقارون وفرعون من مواليد مشارقها، وبالتالى لم يعد هناك أى محل للزعم بعدئذ أن عيسى من مواليد أى أرض خارج مصر، أو أى أرض غير مباركة، أو أى أرض غرب بيت المقدس حيث أدنى الأرض، ولو كان أرضاً مباركة.

٢١- دور الطور فى آخر الزمان :

بل حتى عيسى سيحرز عباد الله إلى جبل الطور فى آخر الزمان، وذلك بعد أن يقتل الدجال، ويحرزهم من يأجوج ومأجوج، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(غير الدجال أخوفنى عليكم ... إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يميناً، وعاث شمالاً، يا عباد الله فإثبتوا ...**

(فبينما هو كذلك، إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق ... فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله، ثم يأتى عيسى قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة.

(فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إنى أخرجت عباداً لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادى إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون ... فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ...) (٤١٦٦/٧٦٤).

الفرع الرابع

قمة

المغارب المباركة

٢٢- ما الجودى ؟

لم تزل كافة شروح القرآن وقصصه على امتداد الأربعة عشر قرناً الماضية، خالية من بيان «خاتمة» طوفان نوح، وبالتالى لم يعد أحد من المخاطبين بالقرآن والسنة يعلم شيئاً عما يلى على الأقل: ١- لم استوت السفينة على الجودى بالذات، ولم تستو على سواه؟. ٢- وهل هناك أكثر

من جودى فى أرض الله؟. ٣- وما هى الجودى لغوياً؟ ٤- وأين تقع الجودى جغرافياً؟

٥- من هم أهل نوح الناجين معه؟. ٦- هل أسماء أبناء نوح هى: سام وحام ويافث، ولو لم يرد ذكرها على الإطلاق، لا فى القرآن ولا فى السنة؟. ٧- وما هى أسماؤهم إذن فى القرآن والسنة، الذى لم يُفرط فى بيان أى شئ على الإطلاق (٣٨/الأنعام)، أى نزل تبياناً لكل شئ بإطلاق (٨٩/النحل)؟.

٨- ماذا فعل نوح بالسفينة أكثر من كونه قد نقل بها المؤمنين من مكان غير مبارك إلى مكان مبارك، ولو لم يؤمن به إلا قليل (٤٠/هود)؟

٩- ماذا فعل الناجون معه فور هبوطهم من السفينة؟ ١٠- متى وكيف وأين بدأت الحياة مرة أخرى فى ربوع الأرض الخالية من الناس بعد الطوفان؟. ١١- ماذا كان مصير نوح ذاته؟. ١٢- ماذا كان حظ المغارب المباركة فى مصر من تلك الأحداث، وقبل تسميتها مصر بآلاف السنين؟

٢٣- الجودى بطور سينين :

بدأت هذه السفينة رحلتها، من حيث وُلد نوح وبعث نبياً ولبث فى قومه ما شاء له الله أن يلبث وصنع سفينته وتأهب للرحيل بها مع بداية الطوفان، أى بدأت من «الأحقاف»، التى خصها القرآن بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها هى السورة رقم (٤٦)، أى «سورة الأحقاف». ولفظ الأحقاف من ألفاظ اللغة العربية الجامعة التى كانت موجودة وحدها لديهم آنذاك.

وانتهت رحلة هذه السفينة على «الجودى» الموجودة فى «طور سينين»، وهما باللغة العربية الجامعة التى كانت موجودة وحدها آنذاك،

وبمعنى «قمة المغارب المباركة» باعتبارها أعلى جبل قاف بالعربية الفاتحة، أى «أعلى الأرض» بوجه عام. ومن ثم خص القرآن طور سينين بعنوانى سورتين قرآنيتين هما: السورة رقم (٥٠) أى «سورة قاف»، وكذا السورة رقم (٥٢) أى «سورة الطور» وذلك على نحو ما تقدم بيانه.

وذلك بعد أن أمر الله الطوفان بالانقضاء هو ومظاهره على الأرض بوجه عام، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ...**﴾ (٤٤/هود). وهكذا كانت الجودى قمة طور سينين بمثابة المرفأ الذى استقبل السفينة بعد انقضاء الطوفان، والذى كان مهيأ وحده دون غيره فى الأرض لهذا الاستقبال أصلاً، وذلك كما يلى:

فأولاً: عدا قمة طور سينين فى مصر من قبل تسميتها بهذا الإسم بآلاف السنين، لم تكن قمة أى جبل آخر فى الأرض معصومة من هذا الطوفان، مصداقاً لقوله تعالى على لسان نوح ناصحاً ابنه «متى» حال تأهب السفينة للإبحار: ﴿**وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ. قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ ...**﴾ (٤٢ و ٤٣/هود).

وثانياً: حتى السفينة ذاتها كانت تُبحر فى موج عالٍ علو جبال الأرض كافة، إلا علو جبل قاف أو الطور، مصداقاً لقوله تعالى بشأن ملاحة هذه السفينة بالذات: ﴿**وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ**﴾ (٤٢/هود).

وثالثاً: قمة طور سينين هى قمة المغارب المباركة، أى هى «الجودى المباركة»، والتى تتوافق مع دعاء نوح إلى ربه، أن ينزله هو

وسفينته «مُنزلاً مباركاً» مصداقاً لقوله تعالى إليه: ﴿**وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ**﴾ (٢٩/المؤمنون). خاصة أن ربه قد استجاب لدعائه فى هذا الصدد، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ ...**﴾ (٤٨/هود).

وهكذا فلفظ «الجودى» باللغة العربية الجامعة، يعدل بعدئذ لفظ «المُنزل المبارك» باللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعدها بآلاف السنين. فهو المنزل الذى جاد به الله على نوح وسفينته، بعد أن أعده سبحانه وباركه وهيأه لاستقبالهم فى يوم الطوفان.

٢٤- خاتمة أجل نوح :

اختلف عمر نوح عن عمر آدم قبله من ناحيتين: إذ كان عمر نوح أقل بعشر سنين، ويرتبط فى بدايته ونهايته بقومه مصداقاً لقوله تعالى فى هذا الشأن: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**﴾ (١٤/العنكبوت).

وبعد أن أخذهم الطوفان، لم يبق شئ لنوح من عمره كى يلبثه فيهم، أى فرغ أجله على الفور بطور سينين، ولو لم ينقض أجله إلا بعد أن انصرفت حتى «الوفود» الموفدة برياً من أهله بطور سينين إلى جهات متباينة فى الأرض الخالية من الناس بعد الطوفان، ولم يبق منهم إلا حفيده يونس وحده.

وهكذا لم يمت نوح فى الأحقاف حيث ولد وبُعث وصنع سفينته، إنما مات بانقضاء أجله على الجودى بطور سينين، أى فى المنزل المبارك حيث أهبط بسلام من ربه وبركات عليه، ولم يكن حوله آنذاك إلا حفيده يونس.

٢٥- يونس حفيد نوح :

هو يونس ابن متى ابن نوح، وكلها من ألفاظ اللغة العربية الجامعة التى كانت موجودة بالأحقاف آنذاك: ١- وقلنا من قبل أن لفظ نوح بالعربية الجامعة يعدل بعدئذ «عبد الشكور» (٣/الإسراء) بالعربية الخاتمة التى جاءت بعدها بآلاف السنين. ٢- ويونس، له اسم كنية بالعربية الجامعة هو «ذا النون» (٨٧/الأنبياء)، ويعدل بعدئذ «صاحب الحوت» بالعربية الخاتمة. ٣- ومتى والد يونس، كان ثالث أبناء نوح، وكافراً فمات غرقاً فى الطوفان (٤٣/هود)، وبالتالى لم يكن من أهل نوح الناجين معه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي ... قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ**﴾ (٤٥و٤٦/هود).

وكان يونس آخر من بُعث نبياً من أهل نوح الناجين معه فى سفينته. لكن بعثته نبياً أسبق تاريخياً من بعثة هود نبياً، وبالتالى لم يخص القرآن هوداً بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها هى السورة رقم (١١) أى «سورة هود»، إلا بعد أن خص يونس بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها هى السورة رقم (١٠) أى «سورة يونس».

وغالبية «قصة يونس» على استقلال، وإن حدثت حال حياة نوح، لكنها لم تحدث إلا فى مصر قبل تسميتها بهذا الإسم بآلاف السنين، ولم تشهدها مصر وقتذاك إلا باعتبارها «خاتمة» طوفان نوح، وذلك بصرف النظر عن «تشويه»هذه القصة فى كافة شروح قصص الأنبياء.

٢٦- قصة يونس :

لم تبدأ قصته إلا من الأحقاف، حيث كانت سفينة نوح جده لأبيه، متأهبة للإبحار، فأبق يونس إليها وهو يقول لبيك اللهم لبيك، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ يُونُسَ ... إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ**﴾ (١٣٩و١٤٠/الصافات)، وقول خاتم الرسل: (**كأنى أنظر إلى يونس،**

على ناقة خطامها ليف، وعليه جبة من صوف، وهو يقول: لبيك اللهم لبيك) (٨٢٥/٤٤٧٠).

ولم تنته قصته جزئياً، إلا على جبل قاف بالعربية الفاتحة (١/ق)، أى على الجودى (٤٤/هود) بطور سينين (٢/التين) وكلاهما بالعربية الجامعة. وحيث أنبت سبحانه عليه بعدئذ شجرة من يقطين بالعربية الجامعة أيضاً (١٤٦/الصافات)، وقبل آلاف السنين من تسميتها بعدئذ بالعربية الخاتمة شجرة التين (١/التين)، التى خصها القرآن بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها هى السورة رقم (٩٥)، أى «سورة التين». فمن ورقها ستر آدم وحواء سوءاتهما فى الجنة قديماً، ثم استظل بها يونس بعدئذ، وأكل من ثمرها طوال فترة سقمه بعد أن نبذه الحوت فى العراء.

وقد شهد الجودى بطور سينين هبوط يونس مع الهابطين من سفينة جده، والموفدين وفوداً برية إلى جهات متباينة من الأرض الخالية من الناس بعد الطوفان. ولم يساهم يونس إلا معهم، وساهم معهم وفداً بوفد عساه يجد لنفسه مكاناً معهم. لكنه كان فى كل مرة من المدحضين (١٤١/الصافات)، الذين لم يكن منهم إذن عمه أيوب ووفده إلى بكة، ولا عمه إرم ووفده إلى الأحقاف مرة أخرى، ولا إلياس ابن عمه ووفده إلى مشارق مصر قبل تسميتها بهذا الإسم، ولا إليسع ابن عمه الآخر ووفده إلى العراق قبل تسميته بهذا الإسم.

ولما ذهبت وفودهم من طور سينين، ومات جده نوح، أصبح يونس وحيداً ومُحبطاً من نعمة ربه عليه بعدئذ (٨٧/الأنبياء)، وبالتالى ذهب بدوره من طور سينين، ولم يذهب إلا مغاضباً (٨٧/الأنبياء). فالتقمه النون بالعربية الجامعة، ولم يلبث أن نبذه معيداً إياه سقيماً إلى حيث كان، أى إلى العراء بطور سينين، الذى ظل به حتى شفى من سقمه، ثم بُعث نبياً محل إليسع بعد موته حيث بُعث فى العراق قبله.

ولم تنته قصته أخيراً، إلا بموته، ولو لم يمت إلا بعد أن بلغ عدد المؤمنين به مائة ألف أو يزيدون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ. فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ**﴾ (١٤٧ و١٤٨/الصافات). وهم قوم قرية بأكملها آنذاك، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ**﴾ (٩٨/يونس).

وهى قرية «نينوى» وأهلها «قوم نينوى» بالعربية الخاتمة بعدئذ، نسبة إلى النون فى إسم يونس، والنون الذى التقمه قديماً. وهى تُعد أقدم قرية بإطلاق فى العراق، وسماها خاتم الرسل: «قرية العبد الصالح» فى حديثه المشهور مع «عداس» عامل البستان بالطائف.

وبهذه الحيثيات أصبحت ليونس أفضلية مُقننة فى السنة أكثر من مرة، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(لا أقول أن أحداً أفضل من يونس بن متى)** (٧٣٧٧/١٢٣٠)، وقوله أيضاً: **(لا ينبغى لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى)** (٧٧٦٤/١٢٨٣). فإيمان قرية بكاملها ليس أمراً هيناً وقتذاك، خاصة أن نوح لم يؤمن به إلا القليل من قومه مصداقاً لقوله تعالى بشأنه: ﴿**وَمَآ آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾ (٤٠/هود). وكذا غيره من الأنبياء كثير مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(يجئ النبى يوم القيامة ومعه الرجل، والنبى ومعه الرجلان، وأكثر من ذلك ...)** (٨٠٣٣/١٣٣٣).

٢٧- أيوب بن نوح :

ليس أيوب عليه السلام، من بنى إسرائيل على نحو ما ذهبت شروح قصص الأنبياء على الأقل، إنما هو ابن نوح، وشأنه فى ذلك شأن «إرم» الذى لم يُبعث نبياً، وشأن «متى» الذى مات غرقاً فى الطوفان، وذلك على التفصيل التالى:

فأولاً: جرى حوار فى الأحقاف قبل الطوفان، بين أيوب المؤمن ومتى الكافر، وقد قننه القرآن فى الآيات من ٣٢ حتى ٤٤ من سورة

الكهف، ولو لم يتحاورا بصفتهما من أهل بعضهما، إنما بصفتهما مجرد صاحبين على الأكثر.

وكان حوارهما بمناسبة الجنتين اللتين جعلهما الله للكافر، الذى راح يتفاخر على المؤمن بكثرة ماله وولده مصداقاً لقوله تعالى على لسانه: ﴿**فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا**﴾ (٣٤/الكهف). بينما رد عليه أيوب المؤمن مصداقاً لقوله تعالى على لسانه: ﴿**فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ...**﴾ (٤٠/الكهف).

وبالفعل لما جاء الطوفان غرق الكافر فيه (٤٣/هود). بينما بُعث أيوب نبياً، وضاعف الله له أهله مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ**﴾ (٨٤/الأنبياء). وقوله تعالى مرة أخرى: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ**﴾ (٤٣/ص~).

وأيضاً أغناه سبحانه وضاعف له الغنى مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(بينما أيوب يغتسل عرياناً، خر عليه جراد من ذهب، فجعل أيوب يحتثى فى ثوبه. فناداه ربه تبارك وتعالى: يا أيوب، ألم أكن أغنيتك عما ترى؟. قال: بلى وعزتك، ولكن لا غنى لى عن بركتك)** (٢٨٦٣/٥٥٠).

وثانياً: بعد الطوفان، ساهم أيوب مع يونس فى الجودى بطور سينين، ولم يكن أيوب من المدحضين، وبالتالى ذهب بوفده من طور سينين إلى بكة وكلاهما باللغة العربية الجامعة الموجودة وحدها آنذاك. وحتى لفظ أيوب من ألفاظ العربية الجامعة، وهو يعدل بعدئذ «لفظ صابر» ولفظ «عبد الصبور» بالعربية الخاتمة التى جاءت بعدها بآلاف السنين، مصداقاً لقوله تعالى بشأنه وحده دون غيره من الأنبياء بإطلاق: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾ (٤٤/ص~).

وقد بُعث أيوب نبياً فى بكة، وبالتالى كان النبى البكى الأخير تاريخياً، بعد النبى البكى الأول تاريخياً وهو آدم. ولم يكن من شأن أيوب إعادة بناء جدران البيت العتيق التى هدمها الطوفان، إنما كان من شأنه أن يُفجر برجله «ماء مريم» بعد ردمها، لكى يغتسل ويشرب منها هو وأهله، ولكى يشفى من سقمه، وهى ماء مريم بالعربية الجامعة، وقبل آلاف السنين من تسميتها ماء زمزم بالعربية الخاتمة.

٢٨- إلياس وإليسع ويونس :

ليس إلياس وإليسع ويونس عليهم السلام، من بنى إسرائيل على نحو ما تذهب – خطأ – شروح قصص الأنبياء على امتداد الأربعة عشر قرناً الماضية. إنما هم أبناء أيوب وإرم ومتى على التوالى، أى أحفاد نوح، ومن أهله الناجين معه فى سفينته حتى أهبطوا على الجودى بطور سينين، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ. وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ**﴾ (٧٥ و ٧٦/الصافات).

إذن شروح قصص الأنبياء الموجودة حالياً بأيدى المصريين على الأقل، لم تشوه فقط أسماء أبناء نوح، إنما تشوه أيضاً قصص رجال كانوا حول نوح مباشرة، بل تشوه حتى دور المغارب المباركة بمصر فى خاتمة طوفان نوح. وللأسف أنها لم تشوه ذلك، إلا لحساب بنى إسرائيل.

الفرع الخامس
عودة
إرم إلى الأحقاف

٢٩- التعريف بإرم :

لفظ إرم كلفظ آدم، من حيث اللغة والوزن والقافية، أى كلاهما من ألفاظ اللغة العربية الجامعة، ولو أن لفظ إرم هو إسم أحد أبناء نوح

الثلاثة. وكان من أهله الناجين معه فى سفينته حتى استوت على الجودى بطور سينين، الذى لم يذهب منه إلا بعد أن ساهم مع يونس، وكان الأخير من المدحضين. بعدها «عاد» إرم ووفده مرة أخرى إلى الأحقاف، التى هى موطنهم الأصلى قبل الطوفان. وهو بهذا «إرم» أو «عاد» باللغة العربية الجامعة، التى كانت موجودة وحدها فى الأحقاف آنذاك.

وقد أطلق إسم «إرم» على أول بلدة أقيمت فى الأحقاف بعد الطوفان، وأقيمت على أعمدة، ولم يكن لها أى نظير فى البلاد، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ**﴾ (٧ و٨/الفجر). وقد أمدهم الله بأنعم كثيرة، مصداقاً لقوله تعالى على لسان نبيها: ﴿**وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ. أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ. وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**﴾ (١٣٢-١٣٤/الشعراء).

وإرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد، هو اسم تلك البلدة باللغة العربية الجامعة، ويعدل بعدئذ «بلدة سبأ» باللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعدها بآلاف السنين، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ. فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ** ...﴾ (١٥ و١٦/سبأ). وقد خص القرآن هذه البلدة بدورها بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها، هى السورة رقم (٣٤)، أى «سورة سبأ».

٣٠- قوم عاد :

وأطلق إسم «عاد» على الوفد الذى رافق إرم، بل حتى على القوم الذى نشأ من تنامى هذا الوفد بمرور الزمان. ولم يبعث إرم نبياً على الإطلاق، لا فى هذا القوم ولا فى غيره. بل حتى لم يكن هذا القوم فى

حاجة إلى نبى طوال حياة إرم، أى كان هذا القوم يلتزم دينياً حتى وفاة إرم.

وهذا القوم هو أول قوم نشأ فى الأحقاف بعد طوفان نوح، أى بعد قوم نوح مصداقاً لقوله تعالى بشأن هذا التطور: ﴿**ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ** ﴾ (٣١/المؤمنون). أى أن قوم عاد هو أول قوم حل محل قوم نوح فى الأحقاف مصداقاً لقوله تعالى على لسان نبيهم: ﴿**وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً**﴾ (٦٩/الأعراف). فلم تكن أطوال هذا القوم تقل كثيراً عن ستين ذارعاً، أى ثلاثة وثلاثين متراً، بمعنى لم تكن أطوالهم تقل كثيراً عن طول الإنسان فى عصر آدم، الذى لم يكن بعيد زمنياً آنذاك.

ولذا كانت تأخذهم العزة بإثم القوة الجسدية، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً**﴾ (١٥/فصلت). بل كانوا حتى يبطشون بطش جبارين، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ**﴾ (١٣٠/الشعراء).

٣١- نبى قوم عاد :

هو: «هود». ولفظ هود من ألفاظ اللغة العربية الجامعة التى كانت موجودة وحدها فى الأحقاف آنذاك. وهو يعدل بعدئذ لفظ «ناصح أمين» باللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعدها بآلاف السنين، مصداقاً لقوله تعالى بشأنه وحده دون غيره من الأنبياء بإطلاق وعلى لسانه شخصياً: ﴿**وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ**﴾ (٦٨/الأعراف). أما إسم كنيته باللغة العربية الخاتمة، فهو «أخا عاد» مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ**﴾

(٢١/الأحقاف)، وقوله تعالى: ﴿**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً**﴾ (٦٥/الأعراف، ٥٠/هود).

وقد خصه القرآن بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها، هى السورة رقم (١١)، أى «سورة هود»، التى يقول الرسول بشأنها: **(شيبتنى هود وأخواتها قبل المشيب)** (٣٧٢١/٦٩٢). وقوله أيضاً: **(شيبتنى هود وأخواتها من المفصل)** (٣٧٧٧/٦٩٢).

٣٢- مآل قوم عاد :

كذب قوم عاد نبيهم وعصوه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاء الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ. وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ. أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ. هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ. إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ. إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ**﴾ (٣٣-٣٨/المؤمنون).

ومن ثم أهلكهم الله مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ**﴾ (٥/الفجر). وقوله تعالى: ﴿**فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ (١٣٩/الشعراء).

وقد أهلكهم سبحانه حال حياة هود، ودون هود وأتباعه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ**﴾ (٥٨/هود). وكان هؤلاء الناجون من عذاب الله نواة قوم ثمود فى الحجر بعدئذ، والذى خصه القرآن بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها هى السورة رقم (١٥)، أى «سورة الحجر».

المطلب الثانى
الأرض ذات الأوتاد

تنويه:

قصة مصر جزء من قصة «العربية»، التى هى أول لغة نوعياً وأقدم لغة تاريخياً، ولو لم تقتصر بعدئذ على لغة واحدة نوعياً أو تاريخياً. **فأولاً:** لم يأت القرآن والسنة إلى مصر لأول مرة تاريخياً إلا عام ٢٠هـ/٦٤٢م، إنما أتيا بجوامع العربية «الثلاث» وهى: العربية الفاتحة والعربية الجامعة والعربية الخاتمة، تلك الثلاث التى تعاقبت تباعاً على أرض مصر من قبل مجئ القرآن والسنة إليها بآلاف السنين.

وثانياً: أرضها لم تُسم مصر لأول مرة تاريخياً إلا بعد أن تلقى إسماعيل من ربه مباشرة اللغة العربية الخاتمة (٢١ و٩٩/يوسف)، وذلك بعد آلاف السنين من تلقى آدم من ربه مباشرة اللغة العربية الجامعة (٣١-٣٣/البقرة)، حيث كانت تلك الأرض ذاتها مُسماه وقتذاك «الأرض ذات الأوتاد» (١٢/ص~، ١٠/الفجر). وهى لم تزل أرض الأوتاد بالعربية الجامعة ومصر بالعربية الخاتمة إلى الآن، أى لم يندثر منهما أى شئ بمرور الزمان آلاف السنين.

وقبلهما تاريخياً، وحتى قبل تسمية أرضها بأى إسم، شهدت هذه الأرض وجود اللغة العربية الفاتحة أى لغة الصاد العربية (١/ص~)، ممثلة فى اسم جبل قاف (١/ق)، الذى أصبح بعدئذ جبل الطور بلغة الضاد العربية (١/الطور) وذلك على نحو ما تقدم بيانه.

وثالثاً: كيف نُصدق بعدئذ أن القرآن لم ينزل إلا بلغة عربية واحدة، تمخضت عن لغة قريش وجاراتها وقت نزوله، والتى بدورها تمخضت عن النحو والصرف والإعراب والبلاغة والمطالعة والإملاء والتعبير والخط ... إلى آخر «طرق استعمال لغة قريش»؟. أو نُصدق أن اللغة فى تلك الأرض كانت يوماً لغة «أعجمية»، حتى لو وجدنا بها حجر رشيد أو غيره من المكاتيب المكتوبة بطريقة غير عربية، طالما أن العربية لم تكن يوماً مجرد طريقة كتابة، إنما هى لغة؟.

مقدمة المطلب

٣٣- متى وكيف نشأ لفظ مصر؟.

أرضها أسبق فى الوجود تاريخياً من إسمها، أى أتى على أرضها حين من الدهر لم يكن لها أى إسم كان. لكن كلاهما من خلق الله، سواء أرضها أو إسمها، وبالتالى حتى إسمها له نشأتان متعاقبتان زمانياً ومتباعدتان تاريخياً (٤٩/الذاريات)، ويجب إذن التمييز بين نشأتيه (٢٠/العنكبوت).

فإسمها فى نشأته الأولى تاريخياً هو «الأرض ذات الأوتاد» باللغة العربية الجامعة (١٢/ص~، ١٠/الفجر)، بينما فى نشأته الآخرة تاريخياً هو «أرض مصر» باللغة العربية الخاتمة (٢١ و٩٩/يوسف) التى جاءت بعدها بآلاف السنين. وكلاهما لم يزل قائماً إلى الآن، أى لم يندثر بمرور الزمان آلاف السنين عليه. ومن ثم تتوزع محتويات المطلب الراهن على ما يلى:

الفرع الأول: اصطلاح أرض الأوتاد.

الفرع الثانى: رائدا العصر الحجرى.

الفرع الثالث: صورة آدم الحجرية.

الفرع الرابع: قوم إدريس وذى الكفل.

الفرع الخامس: أول قوم بعد الطوفان.

الفرع الأول
اصطلاح
أرض الأوتاد

٣٤- إسمها الأول تاريخياً:

لفظ أرض الأوتاد كلفظ إبراهيم، أى كلاهما من ألفاظ اللغة العربية الجامعة التى تلقاها آدم مباشرة من ربه (٣١-٣٣/البقرة)، وكانت موجودة وحدها حتى وفاة إبراهيم، وبالتالى يجب التمعن فيهما على ضوء الاعتبارات التالية:

فأولاً: أرض الأوتاد بالعربية الجامعة، تعدل بعدئذ «أرض الجبال» بالعربية الخاتمة التى جاءت بعدها بآلاف السنين، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا**﴾ (٧/النبأ). لكن بمراعاة ثلاثة أمور فى هذا الصدد:

١- فهى ستظل أرض الأوتاد إلى مالا نهاية، أى حتى بعد ظهور لفظ مصر، وبالتالى لن تكون أرض الأنهار على الإطلاق، حتى لو قال فرعون ملك مصر بعدئذ: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾ (٥١/الزخرف). بل ستكون على الدوام أرض الأوتاد، رغماً عن أنف فرعون ملك مصر مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ**﴾ (١٢/ص~)، وقوله تعالى: ﴿**وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ**﴾ (١٠/الفجر).

٢- وهى أرض الجبال الرواسى، أى الجبال التى أرساها الله فى مكانها إلى مالا نهاية، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا**﴾ (٣٢/النازعات). وهذه الجبال تختلف عن جبال أخرى غير رواسى، لكنها جبال على أى الأحوال، تلك التى تستنفد بمرور الزمان كجبال الحجارة المبيضة والمحمرة بأنواعها وكذا الحجارة فاحمة السواد أى الفحم الحجرى مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ**﴾ (٢٧/فاطر).

٣- وهى أرض الجبال الرواسى، ولو لم تكن هذه الجبال عصية على النسف يوم القيامة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا. فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا. لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا. يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا**﴾ (١٠٥-١٠٨/طه).

وثانيـاً: لفـظ إبـراهيم بالعربيـة الجامعـة، يعـدل بعدئـذ «حلـيم أواه منيب» باللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعدها بآلاف السنين، مصداقاً لقولـه تعـالى بشـأنه وحـده دون غيـره مـن الأنبيـاء بـإطلاق: ﴿**إِنَّ إِبْـرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ**﴾ (٧٥/هود). وقد خصه القرآن بعنوان سورة قرآنيـة قائمة بذاتها، هى السورة رقم (١٤)، أى «سورة إبراهيم». وقصته لم تزل تثير مسألتين:

١- فهو إبـراهيم بـن «آزر» بالعربيـة الجامعـة التـى كانـت موجـودة وحدها آنذاك، مصداقاً لقولـه تعـالى: ﴿**وَإِذْ قَـالَ إِبْـرَاهِيمُ لأَبِيـهِ آزَرَ أَتَتَّخِـذُ أَصْنَامًا آلِهَـةً إِنِّـي أَرَاكَ وَقَوْمَـكَ فِـي ضَـلاَلٍ مُّبِـينٍ**﴾ (٧٤/الأنعام). وقول خاتم الرسل: **(يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة ...)** (٨١٥٨/١٣٥٥). ولفظ آزر بهذا مُقنن فى القرآن والسنة، ولا محل للتشكيك فيه بعدئذ لحساب بنى إسرائيل. وهو يعدل بعدئذ «قاطع رحمه بولده النبى»، باللغة العربية الخاتمة مصداقاً لقوله تعالى على لسانه وحده دون غيره من نظرائه: ﴿**يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَـهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِـي مَلِيًّا**﴾ (٤٦/مريم).

٢- لم يُبعث إبراهيم فى «دولة»، لا قبل هجرته ولا بعد هجرته إلى الأرض المباركة بمدين. أى لم يُبعث قبل هجرته إلا فى قومه مصداقاً لقولـه تعـالى: ﴿**وَإِبْـرَاهِيمَ إِذْ قَـالَ لِقَوْمِـهِ**﴾ (١٦/العنكبوت). وقولـه تعـالى على لسانه: ﴿**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ**﴾ (٥٢/الأنبياء). وقوله على لسانه: ﴿**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ**﴾ (٧٠/الشعراء).

لكن زار إبراهيم الدولة الوحيدة التى كانت موجودة آنذاك، وكانت فى أرض الأوتاد وحدها.

٣٥- زيارة إبراهيم أرض الأوتاد:

أول دولة نوعياً وأقدم دولة تاريخياً، كانت تلك التى قامت على أرض الأوتاد وحال حياة إبراهيم، أى قبل وفاته. ولم تكن قبلها دولة فى أى مكان آخر، ولا حتى كانت تعاصرها دولة فى مكان آخر. وكانت هذه الدولة الأولى والأقدم ذات نظام ملكى، ولو كان ملكها كافراً آنذاك.

وهذه الدولة زارها إبراهيم، وقابل ملكها الكافر، بل حتى قابله مرتين، وذلك قبل أن يلتقى هو وزوجه سارة بهاجر لأول مرة تاريخياً، أى قبل أن يُرزق معها بإبنهما البكر إسماعيل، وبالتالى لم تكن تلك الدولة تعرف إسم مصر. ومن ثم لم يرد هذا الإسم مطلقاً فى الزيارتين، أى لم يرد فى القرآن ولا فى السنة، وذلك كما يلى:

فأولاً: فى المقابلة الأولى، لم يكن هذا الملك يُحاج إبراهيم فى ربه، إلا من منطلق مُلكه الذى أتاه الله إياه من قبل على أرض الأوتاد، مصداقاً لقوله تعالى عن موضوع هذه المقابلة: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ (٢٥٨/البقرة).

وكثير من شراح قصص الأنبياء لم يدركوا بعد أن هذا الملك لم يُقابل إبراهيم مرة واحدة، إنما قابلة مرة أخرى هو ثم زوجته سارة التى أخدم لديها هاجر لأول مرة تاريخياً.

وثانياً: فى المقابلة الثانية لم يجد هذا الملك ما يكيد به إبراهيم، إلا زوجته سارة التى حماها الله من كيده الفاجر، مصداقاً لقول خاتم الرسل: (**... وبينما هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على جبار من الجبابرة. فقيل**

له: إن ها هنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس. فأرسل إليه، فسأله عنها، فقال: من هذه؟. قال: أختى ... فأرسل إليها، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ.

(فقال: إدعى الله لى، ولا أضرك. فدعت الله، فأطلق. ثم تناولها ثانية فأخذ مثلها أو أشد. فقال: إدعى الله لى، ولا أضرك. فدعت، فأطلق. فدعا بعض حجيته، فقال: إنك لم تأتنى بإنسان، إنما أتيتنى بشيطان. فأخدمها هاجر. فأتته وهو قائم يصلى، فأومأ بيده مهياً؟. قالت: رد الله كيد الفاجر فى نحره، وأخدم هاجر) (٥٢٠٢/٩٢٣).

إذن رجع إبراهيم وسارة تصحبهما هاجر إلى مدين، أى رجعوا من دولة أرض الأوتاد، التى لم تُسم مصر لأول مرة تاريخياً حال حياة إبراهيم، الذى لم يشهد تسميتها بهذا الإسم على الإطلاق، ولا هو حتى أول الأنبياء الذين استقبلتهم أرض الأوتاد، وحتى قبل أن تكون دولة.

فمغاربها المباركة استقبلت نوح وأيوب وإلياس وإليسع ويونس حال هبوطهم من السفينة على الجودى بطور سينين. وحتى مشارقها قبل طوفان نوح، استقبلت إدريس وذى الكفل، كما استقبلت إلياس بعد الطوفان. وأرض الأوتاد لم تستقبل إدريس وذى الكفل، إلا باعتبارها أرض الجبال، وباعتبارهما رائدى العصر الحجرى لأول مرة تاريخياً.

الفرع الثانى
رائدا
العصر الحجرى

٣٦- الشقيقان :

إدريس وذو الكفل شقيقان، وأسبق فى الوجود تاريخياً من نوح، وأسبق منه فى النبوة. فهما إبنا آدم، أى عاصراه فى عصره، وشهداه حال

حياته، منذ آلاف السنين، وبالتالى لم تزل صفحتاهما فى شروح القرآن وقصصه خالية من أى شئ ذا بال عن شخصيتيهما بوجه عام، وعن أعمالهما بوجه خاص، وعن دورهما فى مشارق أرض الأوتاد بوجه أخص.

وهذا الغموض قد استتبعه غموض بشأن ما يلى: ١- بداية العصر الحجرى، أى بناء البيت العتيق لأول مرة تاريخياً، وبناء البيت الأقصى لأول مرة تاريخياً، وعمل صورة مادية نصفية لآدم. ٢- أول قوم نشأ فى أرض الأوتاد، ولم يلبث أن أنشأ المسجد أو الهرم الأكبر خلف صورة آدم المادية، وذلك قبل طوفان نوح. ٣- أثر هذا الطوفان على ذاك الحجر بوجه عام، وعلى الأوتاد والبشر فى أرض الأوتاد بوجه خاص.

٣٧- ذو الكفل :

أولاً: هو أحد إبنى آدم، اللذين سماهما والدهما على وجه التعاقب وقت ميلادهما: «طه» و «يس» بلغة الصاد العربية الفاتحة، أى لم يسمهما والدهما آنذاك باللغة العربية الجامعة التى تلقاها مباشرة من ربه.

وثانياً: هو تحديداً «طه»، الذى خصه القرآن بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها، هى السورة رقم (٢٠)، أى «سورة طه». كما خصه بموضوع آية قرآنية قائمة بذاتها، بل خصه حتى بموضوع الآية الأولى فى سورته، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**طه**﴾ (١/طه).

ولفظ طه بهذا، ليس من ألفاظ لغة الضاد العربية، إنما هو من ألفاظ لغة الصاد العربية الفاتحة، بل حتى من ألفاظها «النصفية»، أى غير الكاملة إنما يجب استكمالها وفق قاعدة: وما يذكر إلا أولوا الألباب. وهو بهذا الاعتبار يعدل نصف لفظ «طهره» بالعربية الجامعة مصداقاً

لقوله تعالى من قبل الملائكة وإلى مريم: ﴿**وَطَهَّرَكِ**﴾ (٤٣/آل عمران). فهو إذن بمعنى جعله صالح فطرياً مصداقاً لقوله تعالى بشأن الابن البكر لآدم: ﴿**فَلَمَّآ آتَاهُمَا صَالِحاً ...**﴾ (١٩٠/الأعراف)، وقول خاتم الرسل: **(كل مولود يولد على الفطرة)**(٤٥٥٩/٨٣٧).

وثالثاً: هو الإبن البكر لآدم وحواء، اللذين لم يسميا الله قبل جماعهما بشأنه، ولم يدعواه سبحانه أن يُجنب جماعهما وثمرته الشيطان. ولم يشكراه سبحانه على الحمل به خفيفاً كان أو ثقيلاً، بل حتى علقا شكرهما له سبحانه على أن يأتيهما به صالحاً.

وبهذا فقد شيطنا هذا الجماع والحمل والوضع، حتى لو أتاهما سبحانه بإبنهما صالحاً، أى جعلا الشيطان شريكاً لله فى ولدهما البكر، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّآ آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَآ آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ (١٨٩، ١٩٠/الأعراف)([1]).

([1]) والآيتان تتعلقان بنظام الجماع والحمل والوضع عامة. ولا محل فى هذا النظام لفكرة «رتق» غشاء البكارة ولو طبياً. لأن هذا الغشاء ختم إلهى لا يجوز تقليده، ولا يحل فضه إلا بحقه مصداقاً لقول الرسول على لسان المرأة: **(قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه)** (١٥٠٤/٣١٥). كما لا محل فى هذا النظام لفكرة الحمل والوضع بدون جماع على الإطلاق، ولو بالتلقيح الصناعى طبياً. بل لا محل فيه حتى للجماع دون استهلاله بذكر الله مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إذا قضى بينهما الولد من ذلك، لم يضره الشيطان أبداً)** (٥٢٤١/٩٣٠).

لذا لم يقبل الله القربان الذى قربه طه بعدئذ، بينما تقبل سبحانه قربان أخيه الأصغر «يس»، وبالتالى عزم على قتله، بل حتى قتله بالفعل، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ... فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ (٢٧ و ٣٠/المائدة).

وبهذا كان طه الابن البكر لآدم وحواء، هو أول من سن القتل تاريخياً، وبالتالى صار عليه «كفل» من دم كل نفس تقتل ظلماً بعدئذ حتى يوم القيامة، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل)** (٧٣٨٧/١٢٣٢).

رابعاً: هو إذن «طه» بلغة الصاد العربية الفاتحة و «ذو الكفل» باللغة العربية الخاتمة، التى جاءت بعدها بآلاف السنين. لكنه بُعث نبياً بعدئذ (٨٥/الأنبياء، ٤٨ ص~)، وشأنه فى ذلك شأن موسى الذى بعثه الله نبياً بعد عشر سنين من قتله نفساً بغير نفس، مصداقاً لقوله تعالى على لسانه: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ**﴾ (٣٣/القصص).

بل حتى دور ذى الكفل مع إدريس كدور هارون مع موسى بعدئذ، أى كان عوناً له مصداقاً لقوله تعالى بشأن دور هارون: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا**﴾ (٣٥/الفرقان). فذو الكفل كهارون بعدئذ، وكلاهما الأخ الأكبر، بينما إدريس كموسى بعدئذ، أى كلاهما الأخ الأصغر، ولو لم تزل شخصية طه وذى الكفل وإدريس وأعمالهما محل غموض بالغ إلى الآن.

٣٨- إدريس :

أولاً: هو أحد أبناء آدم، ولم يُدرك من عمر والده إلا ثلثه الأخير، أى لم يولد إلا فى بداية القرن الأول من الثلث الأخير من عمر آدم، وهو القرن الذى شهد بعدئذ بداية العصر الحجرى فى الأرض بوجه عام.

ثانياً: وإدريس بهذا لم يكن أصغر سناً من طه ويس فحسب، إنما أيضاً لم يولد إلا بعد مقتل يس على يد طه ذى الكفل، بل لم يُسم حتى بلغة الصاد العربية الفاتحة التى سُمى بها طه ويس من قبل.

فقد سماه والده باللغة العربية الجامعة، ولو إن إسمه مكون من مقطعين هما: «إدر» فضلاً عن «يس» الذى كان اسم القتيل من إبنى آدم اللذين قربا قرباناً. وهذا المقطع الأخير، هو لفظ من ألفاظ لغة الصاد العربية الفاتحة، وقد خصه القرآن بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها، هى السورة رقم(٣٦)، أى «سورة يس».

كما خصه القرآن بموضوع آية قرآنية قائمة بذاتها، بل خصه حتى بموضوع الآية الأولى فى سورته مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**يس**﴾ (١/يس).. وهكذا حظى لفظ «يس» بآيتين فى القرآن.

وهو من الألفاظ «النصفية»، أى غير الكاملة، إنما يجب استكمالها وفق قاعدة، وما يذكر إلا أولو ا الألباب. وبهذا الاعتبار فإن لفظ يس يعدل بعدئذ نصف لفظ «يسره» باللغة العربية الجامعة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ. ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ**﴾ (١٩ و ٢٠/عبس). إذن لفظ يس يعنى يسره، كما أن لفظ طه يعنى طهره وذلك على نحو ما تقدم بيانه.

وثالثاً: لفظ إدريس إجمالاً لا يعنى سوى «يس آخر»، أو «آخر يس»، وشأنه فى ذلك شأن «إلياس» حفيد نوح بعدئذ، والذى يتكون إسمه من مقطعين هما: «ال» كأداة تعريف فضلاً عن «يس»، وبمعنى يس آخر، أو آخر يس.

وعلى أى حال، بُعث إدريس نبياً (٨٥/الأنبياء)، وأنيط به وبأخيه ذى الكفل الذى بدوره بُعث نبياً، إقامة العصر الحجرى فى الأرض بوجه عام. وكانا وقتئذ فى بكة، التى كان آدم نبياً بها، وبالتالى بدأت أعمالهما الحجرية فى بكة، وأصبحا رائدى العصر الحجرى فى العالم لأول مرة تاريخياً. لكنهما أقل الأنبياء حظاً من اهتمام شراح القرآن وقصصه، حتى لقد بدا الأمر مؤخراً وكأنهما ليسا من الأنبياء إلا إسمياً على الأكثر.

٣٩- أول بيت وضع للناس :

أولاً: لم يُنظر قط إلى البيت العتيق كأول بيت وضع قديماً للناس فحسب، وليس للعبادة آنذاك. فحتى بعثة إدريس وذى الكفل فى منتصف القرن الأول من الثلث الأخير من عمر آدم، لم تكن الناس تعرف فكرة البيوت الحجرية، ولا تعرف حتى فكرة الحجر stone على الأقل. إذ كانوا يقيمون وقتذاك فى بيوت من جلود الأنعام مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا**﴾ (١٠/النحل).

لذا كان من مهام إدريس وذى الكفل تعليم الناس كيف يبنوا بيوتاً حجرية لكى يقيموا فيها، أى كان عليهما أن يقيما لهم بيتاً بالفعل، لكى يقيموا بيوتهم على نفس المنوال، وبالتالى كان عليهما أن يقيما هذا البيت فى عاصمة الأرض، أى فى أم القرى التى يعيش فيها آدم كأول خليفة فى الأرض.

وثانياً: كانا فى حاجة آنذاك إلى حجر من الجنة، أنزله الله لهما، ولم يزل موجوداً فى جدران البيت العتيق، هو الحجر الأسود، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(الحجر الأسود من حجارة الجنة)** (٢٠٩٠/٤٢٠). وعلما من هذا الحجر فى ذاته ومن المكان الذى نزل فيه أمرين: ١- ماهية الحجر الذى عليهما اقتطاع أمثاله من الجبال. ٢- ماهية المكان الذى عليهما أن يقيما فيه أول بيت للناس فى عاصمة الأرض.

فضلاً عن أن الله علم إدريس الكتابة على الرمل، لكى يخط فى الرمل مكان أساس هذا البيت، ويحفر الأساس ليضع فى هذا الحفر قواعد البيت تحت سطع الأرض قبل أن يبنى جدرانه، مصداقاً لقول خاتم الرسل عندما سئل عن أول من خط الرمل: **(كان نبى من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك)** (٤٤٦٢/٨٢٤).

وهذا البيت هو البيت العتيق، الذى لم يسبقه أى بيت حجرى على الإطلاق، ولم يضعه إدريس وذو الكفل للعبادة، إنما وضعاه للناس لكى يبنوا لأنفسهم بيوتاً حجرية على غراره، ولو أنه بيت مبارك على أى الأحوال، وذلك لوجوده فى مركز الأرض باعتباره من الأراضين المباركة، وكذا وجود حجر من الجنة فى جدرانه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا**﴾ (٩٦/آل عمران).

ولما جاء طوفان نوح بعدئذ، لم يهدم جدران هذا البيت فحسب، إنما أيضاً ردم «ماء مريم» باعتبارها خير ماء على وجه الأرض. ولم يكن من شأن أيوب بن نوح بعد بعثته نبياً فى بكة بعد الطوفان، أن يقيم جدران هذا البيت، إنما كان من شأنه أن يركض برجله عين الماء المردومة لكى يغتسل ويشرب منها، فيشفى من مرضه وقتذاك (٤٢/ص~).

وثالثـاً: ظلـت جـدران هـذا البيـت مُهدمـة حتـى أعادهـا إبـراهيم وإسماعيل على نفس قواعد إدريس وذى الكفل، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ**﴾ (١٢٧/البقرة). ومن ثم استحق إدريس وإبراهيم الذكر، وعلى استقلال، وعلى قدم المساواة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا**﴾ (٥٦/مريم). وقوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا**﴾ (٤١/مريم). وكذا ذو الكفل وإسماعيل مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ**﴾ (٨٥/الأنبياء).

لكن منذ عصر إبراهيم لم يعد هذا البيت بيتاً للناس، إنما أصبح بيتاً لله، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ (٢٦/الحج). إذ أصبح بيتاً للحج، الذى أذن به إبراهيم لأول مرة تاريخياً، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ**﴾ (٢٧/الحج). وبيتاً للصلاة، التى أنزلت على إبراهيم أيضاً لأول مرة تاريخياً، بناء على دعوته مصداقاً لقوله تعالى على لسانه: ﴿**رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي**﴾ (٤٠/إبراهيم).

أما بالنسبة للناس، فقد أصبح هذا البيت مثابة لهم وأمناً والصلاة فى مقام إبراهيم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**﴾ (١٢٥/البقرة).

أما الزكاة فلم تنزل على إبراهيم، ولم تنزل لأول مرة تاريخياً، إلا على إسماعيل، الذى كان يأمر أهله بها جنباً إلى جنب الصلاة، مصداقاً لقوله تعالى بشأنه: ﴿**وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا**﴾ (٥٥/مريم).

٤٠- بيت آخر وضع للناس :

بعد قيام إدريس وذى الكفل ببناء البيت العتيق، رحلا إلى حيث أقاما بيتاً آخراً بعيداً، أى قصياً سواء عن بكة أو عن أدنى الأرض. وهو البيت الأقصى الذى أقيم بعد أربعين سنة من إقامة البيت العتيق، مصداقا لقول خاتم الرسل: **(أول مسجد وضع فى الأرض المسجد الحرام. ثم المسجد الأقصى. وبينهما أربعون سنة)** (٢٥٧٩/٥٠٤). وبعدئذ اعتاد الناس رويداً رويداً على بناء بيوتهم من حجارة الجبال، سواء قبل طوفان نوح، أو بعده مصداقاً لقول نبى ثمود:﴿ **وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ**﴾ (١٤٩/الشعراء).

لكن لما جاء طوفان نوح هدم جدران هذا البيت بدوره، ولم ينل من قواعده المدفونة تحت سطح الأرض. وقد ظلت جدرانه مهدمة حتى النصف الثانى من القرن العاشر قبل الميلاد، حيث قام سليمان بن داود ببناء هذه الجدران مصداقاً لقول الرسول: **(إن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلالاً ثلاثة: ... أما اثنتان فقد أعطيهما، وأرجو أن يكون قد أعُطى الثالثة)** (٢٠٩٠/٤٢٠).

لكنه لم يُعط الثالثة، التى تجعل بيت المقدس مباركاً فى ذاته، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(إن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس ... سأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه، أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه ... وأرجو أن يكون قد أعطى الثالثة)** (٢٠٩٠/٤٢٠).

لذا فهو ليس مباركاً فى ذاته، فلا هو فى أرض مباركة، ولا فى جدرانه حجر مبارك من الجنة، وبالتالى فالمبارك هو ما «حوله» مصداقاً

لقوله تعالى: ﴿**الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾ (١/الإسراء). بل حتى المبارك حوله عن بُعد وليس عن قُرب، ومن ناحيتين وليس من كافة النواحى، أى المبارك حوله غرباً فى أدنى الأرض، والمبارك حوله شرقاً فى أعلى الأرض بأرض الأوتاد.

ومن ثم، فالصلاة فيه، لا هى بمائة ألف صلاة كالمسجد الحرام، ولا هى بألف صلاة كالمسجد النبوى بالمدينة، إنما هى مجرد صلاة كأى صلاة فى أى مسجد، حتى لو كان بيت المقدس أحد ثلاثة مساجد تشد الرحال إليها دون غيرها مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: إلى المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى)** (٧٣٣٢/١٢٢٥).

فالبيت الأقصى لم يكن يوماً قبلة للحج، ولا حتى قبلة للصلاة، إلا بصفة استثنائية لم تتجاوز ثمانية عشر شهراً حال حياة الرسول، ولم يكن مباركاً على الإطلاق. وعلى أى حال لم يزل هذا المسجد ينتظر «وعد» الحرب الأخيرة تاريخياً فى أدنى الأرض، مصداقاً لقوله تعالى إلى بنى إسرائيل: ﴿**فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا**﴾ (٧/الإسراء).

الفرع الثالث
صورة آدم الحجرية

٤١- توطن فى أرض الأوتاد:

لم يزل شراح القرآن وقصصه يجهلون دور إدريس وذى الكفل فى بناء البيت العتيق والبيت الأقصى، وبالتالى ينسبون بخيالهم هذا البناء إلى غيرهما، فينسبوه إلى الملائكة أو آدم أو نوح أو إبراهيم بحسب الأحوال.

بينما لم يُقم هذا البناء إلا إدريس وذو الكفل وذلك على نحو ما تقدم بيانه، ثم رحلا إلى مشارق أرض الأوتاد مباشرة للاستقرار فيها وإعمارها بعدئذ، فلا عودة لهما إذن إلى بكة وفيها نبيها والدهم آدم الذى لم يزل حياً وقتذاك. وكانا بهذا أول من وطأت أقدامهما هذه المشارق، بل حتى أول من وطأت أقدامهما أرض الأوتاد من الأنبياء، وذلك حال حياة والدهما آدم الذى لم تطأ أقدامه هذه الأرض على الإطلاق.

وفى هذه المشارق صنعا صورة مادية حجرية لوالدهما، أى صورة مادية حجرية لآدم، والتى لم تزل جبلاً ثابتاً فى أرض الأوتاد إلى الآن، ولو لم يتعرف أحد عليها بعد، بل حتى لم يعرف أحد عنها أى شئ على الإطلاق([1]). إذ لم يخطر ببال أحد النظر إلى هذه الصورة المادية الحجرية من منظور القرآن والسنة، الذى لم يُفرط فى بيان أى شئ على الإطلاق (٣٨/الأنعام، ٨٩/النحل)، وبالتالى علينا أن ننظر إليها من منظورهما وحدهما ومباشرة، وذلك كما يلى:

٤٢- أبو الكبد وأبو الهول :

أبو الناس كافة هو: آدم. وآدم هو إسمه الحقيقى، فلا إسم حقيقى له غيره، سواء فى اللغة العربية الجامعة التى تلقاها هو نفسه مباشرة من ربه، أو حتى فى اللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعدها بآلاف السنين مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(الناس ولد آدم. وآدم من تراب)** (٦٧٩٨/١١٥٠). وهكذا فآدم هو إسمه الحقيقى على الدوام وإلى مالا نهاية، وذلك على خلاف «إسم كنيته».

([1]) انظر بالتفصيل، سليم حسن: أبو الهول (بالإنجليزية) – ترجمة جمال الدين سالم – مكتبة الأسرة ١٩٩٩ – ص ٧٤-٩٨.

فإسم كنيته باللغة العربية الجامعة هو «أبو الكبد» مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ. لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ**﴾ (٣ و٤/البلد)، وذلك بمراعاة أن «لفظ كبد» لم يرد فى القرآن إلا مرة واحدة، لكونه من ألفاظ هذه اللغة العربية. أما إسم كنية آدم باللغة العربية الخاتمة، فهو «أبو الهول». وكلاهما لم يزل إسم كنية آدم حتى الآن على الأقل، أى لم يندثر بمرور الزمان آلاف السنين عليه، ولو كان أبو الهول هو إسم الكنية الأكثر شهرة مؤخراً، إنما لم يعرف أحد معناه بعد.

لكن آدم ذاته حتى بعد موته، لم يزل هو أبو الكبد وأبو الهول على السواء. ويكفى كبده وهوله على بنيه أصحاب النار على الأقل، وذلك ما شاهده خاتم الرسل فى السماء الأولى ليلة المعراج، مصداقاً لقوله: **(قلت يا جبريل من هذا؟. قال: آدم. وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه. فأهل اليمين أهل الجنة، والأسودة التى عن شماله أهل النار. فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى)**(٤١٩٩/٧٧٣).

إذن لم تقع صورة آدم الحجرية فى يد باحث واحد من أولى الألباب بعد، وبالتالى لم يعرف أى من الباحثين سبب خلو «قاعدة» الصورة من إسم صاحبها وإسم صانعها على السواء. رغم أن هذا السبب معلوم بالبداهة، بل لا يُقبل حتى من أحد اعتذاراً عن جهله به، وذلك من ناحيتين: ١- فهى أسماء أنبياء ثلاثة، هم: آدم، وذو الكفل، وإدريس. ٢- وهى صورة آدم المادية، أى الأب الأول نوعياً وتاريخياً لكل إنسان.

وبهذا ظلت صورة آدم الحجرية بمثابة امتحان يومى يرسب فيه أهل البلد وغيرهم، على امتداد آلاف السنين، وذلك دليل كاف بذاته على أنهم لم يؤتوا من العلم إلا القليل، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾(٨٥/الإسراء). ومن ثم لم يعرفوا حتى أن «إسم» كنية آدم هو

بذاته خلق من خلق الله، أى خلق قائم بذاته، وله إذن نشأتان متعاقبتان زمانياً ومتباعدتان تاريخياً (٤٩/الذاريات)، ويجب بعدئذ التمييز بين نشأتيه (٢٠/العنكبوت). وهو فى نشأته الأولى «أبو الكبد» بينما فى نشأته الآخرة هو «أبو الهول».

٤٣- صورة جبلية نصفية :

تلك الصورة الحجرية لم تزل جبلاً ثابتاً فى الأرض، أى لم تزل أحد أوتاد أرض الأوتاد، ولو لم تتجاوز مجرد صورة مادية نصفية لآدم، أى مجرد صورة مادية لرأس آدم على الأكثر، وبالتالى فلا محل للتساؤل بعدئذ: لم جاءت صورة نصفية ولم تأت صورة كاملة؟

خاصة أنها صورة جبلية لرأسه، لكن بما يتناسب مع طول قامته من ناحية، وبما يُغنى عن إقامة تمثال كامل له من ناحية أخرى. فآدم هو أطول الناس قامة على مر الزمان، أى كان بطول ستين ذراعاً أى ثلاثة وثلاثين متراً (٦٠ × ٥٥سم)، وكأنه فى ارتفاع بناية مكونة من أحد عشر طابقاً وبعلو ثلاثة أمتار لكل طابق مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(خلق الله آدم على صورته، وطوله ستون ذارعاً ... فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن)**(٦١٥/٣٢٣٣).

ولما حاول العراقى: «عبد اللطيف البغدادى» أن يعرف بطريق القياس الشخصى طول تمثال كامل لصاحب هذه الرأس، كتب ما يلى حرفياً: «عند أحد هذه الأهرام رأس هائل بارز من الأرض فى غاية العظم. ويقتضى القياس أن تكون جثته نسبة إلى رأسه سبعين ذارعاً فى الطول»([1]). وهذا قياس فاسد من ناحيتين: ١- فلا أحد من الناس أطول

([1]) مشار إليه فى سليم حسن: السابق – ص ٨٧.

من آدم، ولو بذراع واحد. وبالتالى ليس طول صاحب الرأس فى التمثال أكثر من ستين ذراعاً. ٢- ولا إنسان أطول من ستين ذراعاً، أو يبلغ طول سلسلة تقييد المجرمين فى الآخرة، مصداقاً لقوله تعالى بشأنها: **﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾**(٣٢/ الحاقة).

علماً بأن ما يوجد على الرأس ويتدلى على جانبيها فى صورته الحجرية، ليس غطاء للرأس، إنما هو الشعر «الكثير» الذى كان آدم يتميز به جنباً إلى جنب طول قامته، مصداقاً لقول خاتم الرسل: : **(إن الله خلق آدم رجلاً طوالاً كثير شعر الرأس، وكأنه نخلة سحوق)**([1]). وقوله أيضاً: **(إن أباكم آدم كان كالنخلة السحوق، ستون ذراعاً، كثير الشعر، مُوارى العورة)**([2]).

وهكذا تكفى وتلزم صورة نصفية لآدم لكى يحتفظ بها التاريخ الإنسانى فى ذاكرته، ويستحيل على صانعها عمل صورة كاملة له، خاصة أنها صورة جبلية على الدوام وإلى مالا نهاية.

٤٤- أى أرض أحق بصورة آدم؟

ليست هناك أرضاً أحق بصورة آدم الجبلية، إلا أرض الأوتاد، وذلك لسببين على الأقل: ١- لكى تكون تلك الصورة وتداً ثابتاً فيها إلى مالا نهاية، خاصة أنها بلد آمن وأمين (٩٩/يوسف، ٣/التين).

٢- ولأن التراب الذى نشأ منه آدم مادياً، كان مأخوذاً من أرض الأوتاد، أى مأخوذاً من أحد أوتادها وهو جبل قاف أو الطور، حيث الواد

([1-2])مشار إليهما فى ابن كثير: السابق – قصص الأنبياء – ط١ – مكتبة الإيمان بالمنصورة – ص٢٠.

المقدس طوى. ولهذا السبب، لم يُقم التمثال النصفى لآدم فى المغارب المباركة بأرض الأوتاد، إنما أقيم هذا التمثال فى مشارق أرض الأوتاد على نحو ما هو كائن إلى الآن، وذلك لكيلا يُضفى عليه الناس بعدئذ قداسة زائفة، كما هو حاصل حالياً مع تمثال بوذا مثلاً.

٣- ولأن آدم واحد، وبالتالى ليست له إلا صورة جبلية واحدة، فى العالم، فلا صورة أخرى له فى أرض الأوتاد، ولا فى غيرها من أرض الله بوجه عام، وذلك لكى يتذكر الناس دوماً قوله تعالى:﴿**مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ (٢٨/لقمان).

٤٥- نظرة آدم ناحية المشرق :

صورة آدم الجبلية، ليست وحدها الثابتة فى مكانها إلى الآن، إنما حتى نظرة آدم ذاته لم تزل ثابتة أفقياً ناحية المشرق وحده. فلا هو ينظر إلى أعلى ناحية الشمس ولو كانت مشرقة، ولا هو ينظر إلى أسفل تحت قدميه فى أرض الأوتاد.

فهو ينظر بعيداً إلى ما وراء هذه الأرض من ناحية المشرق، حيث «مركز الأرض» باعتباره من الأراضين المباركة، والذى يشمل مكان إقامة آدم طوال حياته فى الأرض، وكذا المكان الذى جمعه يوماً ببنيه من أولهم إلى آخرهم، وكذا مكان مشربه ومغتسله حتى حال وفاته.

أو بالأحرى هو ينظر ناحية طسم (١/الشعراء) وطس (١/النمل) وكهيعص (١/مريم) بلغة الصاد العربية الفاتحة، التى كانت موجودة قبل خلق آدم وأعطيت له بعد خلقه وسمى بها إبنيه طه ويس، ولم تُعط له إلا بصفته أول الأنبياء تاريخياً، وبالتالى لم تُعط لأحد بعده إلا خاتم الرسل

بصفته آخر الأنبياء تاريخياً، مصداقاً لقوله بشأنها: **(أعطيت فواتح الكلام و ...)** (١٠٥٨/٢٥١).

٤٦- نظر آدم نحو طسم :

لفظ طسم من ألفاظ لغة الصاد العربية الفاتحة، وبالتالى ذكر فى مُفتتح سورة الشعراء (١/الشعراء) وسورة القصص (١/القصص). وهو يعدل بعدئذ لغوياً وجغرافياً لفظ «بكة» باللغة العربية الجامعة، وبالتالى لم يُذكر هذا اللفظ الأخير فى القرآن إلا مرة واحدة (٩٦/آل عمران).

فموضوعهما واحد جغرافياً، أى «أم القرى»، التى تكرر ذكرها فى القرآن ثلاث مرات (٧/الشعراء، ٩٢/الأنعام، ٥٩/القصص)، سواء بقدر عدد حروف طسم أو بكة، أو بقدر معالم هذا المكان التى هى طس وكهيعص ووجود الحجر الأسود بجدران البيت العتيق. ولم يزل اللفظان قائمين إلى الآن، أى لم يندثرا بمرور الزمان آلاف السنين عليهما، ولن يندثرا إلى مالا نهاية، خاصة أنهما يعدلان لغوياً وجغرافياً لفظ «مكة» (٢٤/الفتح) باللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعدئذ بآلاف السنين.

وآدم وزوجه لم يهبطا من السماء إلى الأرض، إلا فى هذا المكان، وذلك على اعتبارين: ١- أم القرى هى عاصمة الأرض على الدوام. ٢- وآدم هو أول خليفة فى الأرض، وأول بشر طينى نوعياً، وأول إنسان تاريخياً، وأول من تلقى لغة الضاد العربية من ربه مباشرة، وأول الأنبياء تاريخياً، وأول إنس خلقه الله فى الجنة مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(لما صور الله تعالى آدم فى الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه ..)** (٥٢١١/٩٢٦).

٤٧- نظر آدم نحو طس :

لفظ «طس» لم يرد فى القرآن إلا مرة واحدة فى مُفتتح سورة النمل (١/النمل). وهو ليس فقط كلفظ طسم من ألفاظ لغة الصادر العربية الفاتحة، إنما هو أيضاً جزء لا يتجزأ لغوياً وجغرافياً من طسم، وبالتالى فهو بعدئذ يعدل لفظ «واد نعمان» باللغة العربية الجامعة التى تلقاها آدم مباشرة من ربه.

وفى هذا الواد بالذات عرف الإنس كلهم من أولهم حتى آخرهم، ربهم لأول مرة تاريخياً، بل حتى كلمهم سبحانه قبلاً، وأخذ منهم الميثاق، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا**﴾ (١٧٢/الأعراف).

لذا فهما لفظان قائمان إلى الآن، أى لم يندثرا بمرور الزمان آلاف السنين عليهما، ولن يندثرا إلى مالا نهاية، خاصة أنهما يعدلان لغوياً وجغرافياً لفظ «واد عرفة» أو «واد عرفات» (١٩٨/البقرة) باللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعدئذ بآلاف السنين، مصداقاً لقول خاتم الرسل: (**إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بـ «نعمان» يوم عرفة، وأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر. ثم كلمهم قبلاً، قال: «ألست بربكم قالوا بلى»**) (١٧٠١/٣٤٩).

ويجرى مؤخراً فى هذا الواد إحياء ذاك الميثاق الذى أخذه الله على آدم وبنيه، إحياء دورياً، أى بانتظام زمنياً، ومرة كل سنة على الأكثر. وليس فقط فى نفس هذا الواد، إنما أيضاً فى نفس اليوم، وذلك خلال الحج الأكبر (٣/التوبة)، مصداقاً لقول خاتم الرسل: (**الحج عرفه. من جاء قبل طلوع الفجر من ليلة جمع فقد أدرك الحج**) (٣١٧٢/٦٠٦).

٤٨- نظر آدم نحو كهيعص :

كهيعص، ليست فقط من ألفاظ لغة الصاد العربية الفاتحة، إنما هى أيضاً لم ترد فى القرآن إلا مرة واحدة فى مُفتتح سورة مريم (١/مريم)، بل هى حتى معلم آخر من معالم طسم قبل خلق آدم. كما أسهمت حتى فى نشأة آدم مادياً، فكانت منها «غرفة الماء» اللازمة لجعل قبضة التراب طيناً، بدأ منه خلق آدم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ**﴾ (٧/السجدة).

وأيضاً لفظ كهيعص، ليس فقط من ألفاظ لغة الصاد العربية، إنما هو حتى أطول ألفاظها بحروفه العربية الخمسة، التى تعدل إذن نصف حروف أطول ألفاظ لغة الضاد العربية، وهو : لفظ «أسقيناكموه»، بحروفه العربية العشرة. وكلاهما يتعلق بالسقيا من ماء من السماء، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**﴾ (٢٢/الحجر). وبمراعاة أن جسم الإنسان ليس مخزناً لما يتناوله يومياً من الماء، وبالتالى هناك عملية إخراج الزائد منه دورياً فى صورة بول أو براز أو عرق أو نفس ... إلخ، وإلا كانت هناك مشكلة مرضية.

ولفظ كهيعص بالعربية الفاتحة يعدل بعدئذ لفظ «مريم» باللغة العربية الجامعة، وبالتالى خصه القرآن بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها، هى السورة رقم (١٩) أى «سورة مريم». كما خصه بموضوع آية قرآنية قائمة بذاتها، بل خصه حتى بموضوع الآية الأولى فى سورتها، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**كَهَيَعص**﴾ (١/مريم). وهكذا فمريم فى عنوان سورتها، لا هى مريم أم المسيح، ولا هى مريم أخت موسى وهارون الأسبق منها تاريخياً، إنما هى كهيعص.

وبعد هبوط آدم وزوجه إلى بكة، كان أول نبى بكى، وكانت مريم هى مشربهما ومغتسلهما طوال حياتهما، بل حتى كان منها ماء غسلهما بعد موتهما الواحد بعد الآخر، مصداقاً لقول خاتم الرسل بشأن غسل آدم: **(لما توفى آدم غسلته الملائكة بالماء وتراً. وألحدوا له. وقالوا: هذه سنة آدم فى ولده)** (٥٢٠٧/٩٢٤).

ولفظ مريم يعدل بعدئذ لفظ زمزم باللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعد آلاف السنين، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(إن جبريل لما ركض زمزم بعقبه، جعلت أم إسماعيل تجمع البطحاء. رحم الله هاجر، لو تركتها كانت عيناً معيناً)** (٢٠٥٥/٤١٢).

وعدد حروف لفظ كهيعص «الخمسة»، بقدر عدد ألفاظ «مفهوم» كهيعص أو مريم أو زمزم، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم ...)** (٣٣٢٢/٦٢٧). وهذا الماء، لم يكن له دوراً مشهوداً فى حياة أيوب بن نوح بعد الطوفان فحسب (٤٢/ص~)، إنما أيضاً فى حياة خاتم الرسل ليلة المعراج، مصداقاً لقوله: **(فرج سقف بيتى وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدرى، ثم غسله بماء زمزم. ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً، فأفرغها فى صدرى. ثم أطبقه، ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى السماء الدنيا ...)** (٤١٩٩/٧٧٣).

٤٩- خاتمة :

وهذا، بصرف النظر طبعاً عما لحق «صورة آدم الجبلية»، من «تشويه» على يد أهل اللغة وأهل التاريخ وأهل الجغرافية وأهل الآثار وغيرهم، حتى فى مصر، التى لم يزل غائباً عن أهلها إسهام بلدهم فى المشهد القرآنى منذ بداياته، وبالتالى لم تعد صورة آدم الجبلية تُعامل إلا كمزار سياحى على الأكثر، أى مزار تُلتقط فيه الصور التذكارية من جانب السائحين، بل حتى مزار غامض من كل وجه.

الفرع الرابع
قوم
إدريس وذى الكفل

٥٠- قوم أصحاب الكهف :

لم يكن مجئ إدريس وذى الكفل إلى أرض الأوتاد مجيئاً مؤقتاً، إنما كان مجيئاً نهائياً، أى بلا عودة لهما إلى موطنهما الأصلى بكة حيث والدهما نبيها ولم يزل حياً، ولا حاجة إليهما هناك إذن، وبالتالى عليهما البقاء فى أرض الأوتاد لإعمارها، وليس بعمل صورة حجرية لوالدهما فحسب، فظلا بها حتى ماتا فيها.

لكنهما لم يموتا حال حياة والدهما، إنما ماتا بعده. ولم يموتا معاً، إنما مات أكبرهما سناً قبل أصغرهما، أى مات ذو الكفل قبل إدريس، الذى لم يمت بعده على الفور، إنما مات بعده بزمان، فأسهم أكثر منه فى إنشاء «قوم» لهما، حتى رفعه الله مكاناً علياً فى السماء مصداقاً لقوله تعالى بشأنه: ﴿**وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا**﴾ (٥٧/مريم)، وقول خاتم الرسل: **(لما عُرج بى رأيت إدريس فى السماء الرابعة)** (٥٢١٢/٩٢٦).

وهذا القوم هو أول قوم نوعياً وأقدم قوم تاريخياً فى أرض الأوتاد، فلا كان قبله قوم آخر فيها، ولا كان معه قوم آخر بها، إنما كان منه بعدئذ «قوم أصحاب الكهف» مصداقاً لقوله تعالى على لسان أصحاب الكهف بشأن هذا القوم: ﴿**فَقَالُوا ... هَـؤُلَاء قَوْمُنَا**﴾ (١٤ و١٥/الكهف). أى أن قوم إدريس وذى الكفل أصبح بعد مماتهما ومرور السنين هو قوم أصحاب الكهف.

إذن «قصة» أصحاب الكهف، لم تحدث إلا بعد وفاة ذى الكفل ثم إدريس، ولم تحدث إلا فى مصر قبل تسميتها بهذا الإسم بآلاف السنين، ولم تحدث إلا قبل طوفان نوح، وذلك بمراعاة أمرين:

أولاً: هذا القوم أسبق فى الوجود تاريخياً من قوم نوح فى الأحقاف، وبالتالى خص القرآن قوم أصحاب الكهف بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها، هى السورة رقم (١٨) أى «سورة الكهف». وذلك قبل أن يخص القرآن مكان قوم نوح بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها، هى السورة رقم (٤٦) أى «سورة الأحقاف». بل حتى قبل أن يخص نوح ذاته بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها، هى السورة رقم (٧١)، أى «سورة نوح».

وثانياً: كما أن هذا القرآن قد ذكر «قصة أصحاب الكهف» فى مُستهل قصص سورة الكهف، وحتى قبل «قصة الحوار بين ابنى نوح» فى الأحقاف قبل الطوفان، أى قصة الحوار بين «أيوب» المؤمن و«متى» الكافر صاحب الجنتين والمال والولد والذى غرق فى الطوفان بعدئذ (٤٣/هود) وذلك على نحو ما تقدم بيانه.

٥١- موتهما قبل قومهما :

إذن قبض الله تعالى إليه ذى الكفل ثم إدريس قبل قومهما، الذى لم يكن يُكذبهما أو يعصى أمرهما حال حياتهما، وذلك من باب رحمته سبحانه بهذا القوم مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(إن الله تعالى إذا أراد رحمة أمة من عباده، قبض نبيها قبلها، فجعله فرطاً وسلفاً بين يديها. وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حى. فأهلكها وهو حى ينظر إليها فأقر عينه بهلاكها حين كذبوه وعصوا أمره)** (١٧٠٧/٣٥١).

وبذا فرحمته سبحانه بعدئذ بأصحاب الكهف بوجه خاص، كانت أمراً متوقعاً للغاية، ولم تكن أمراً عجباً على الإطلاق، مصداقاً لقوله تعالى بشأنهم: ﴿**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا**﴾ (٩/الكهف).

٥٢- تصدع إيمان القوم :

بمرور الزمان على وفاة النبيين أصيب قومهما بالتصدع فى حيائه منهما، والذى هو قرين الإيمان بهما مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(الحياء والإيمان قرناً جميعاً)** (٣٢٠٠/٦٠٩). وهذه الظاهرة المرضية لها أثرها السلبى على الحياء والتقدم والإيمان وذلك كما يلى:

فأولاً: هذا القوم الأول والأقدم تاريخياً يُفرط فى حيائه وإيمانه، فى عصر النبوة الأولى تاريخياً، مصداقاً لقول خاتم الرسل فى هذا الشأن: **(آخر ما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستح، فإصنع ما شئت)** (٢/٦٣). فتاريخياً لم تكن هناك نبوة قبل إدريس وذى الكفل، إلا نبوة آدم أول الأنبياء تاريخياً، وبالتالى فالمقصود بالنبوة الأولى هى نبوة آدم وإدريس وذى الكفل.

وثانياً: هذا القوم لم يُفرط فى حيائه وإيمانه إلا بعد أن قطع شوطاً فى طريق التقدم. إذ عرف «نظام المدينة»، و «نظام التصرف» الاجتماعى بلطف، و «نظام التعامل المالى» بعملة ذهبية، مصداقاً لقوله تعالى على لسان أصحاب الكهف: ﴿**فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ**﴾ (١٩/الكهف).

وثالثاً: هذا القوم لم يُفرط فقط فى حيائه وإيمانه بنبييه، إنما فرط أيضاً فى حيائه وإيمانه بربه، ولدرجة الردة عن الدين الإلهى آنذاك، حتى لم يبق مؤمناً من هذا القوم إلا قلة كان منهم أصحاب الكهف، مصداقاً لقوله تعالى على لسانهم: ﴿**فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا. هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا**

يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (١٤ و١٥/الكهف).

٥٣- إحتماء سبعة مؤمنين بربهم :

حتى القلة المؤمنة من هذا القوم، لم يكونوا على درجة واحدة من حيث الحياء والإيمان، بل كان أكثرهم حياء وإيماناً سبعة فتية، وكانوا معروفين لهذه القلة وحدها دون باقى القوم مصداقاً لقوله تعالى: **﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾** (٢٢/الكهف).

أما غير المؤمنين، فكانوا يتوهمون أنهم أقل من ذلك عدداً: إما ثلاثة وإما خمسة على الأكثر، مصداقاً لقوله تعالى فى هذا الشأن:**﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ .. فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاء ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾** (٢٢/الكهف).

وقد آثر هؤلاء السبعة اعتزال قومهم مؤمنين وغير مؤمنين على السواء، واعتزالهم فى كهف بطريق الواحات حالياً، وذلك لسببين: ١- طمعاً منهم فى رحمة الله بهم وتهيئته سبحانه الأمر الراشد لهم، مصداقاً لقوله تعالى على لسانهم: **﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾** (١٦/الكهف). ٢- ولكيلا يشعر بهم باقى قومهم، فيرجموهم أو يعيدوهم إلى ملتهم، مصداقاً لقوله تعالى على لسانهم: **﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا. إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾** (١٩ و٢٠/الكهف).

وبالفعل اتخذوا من هذا الكهف مأوى لهم، ولم يخطر ببالهم يومئذ أنه سيكون مأواهم سنين كثيرة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا. فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا**﴾ (١٠ و ١١/الكهف). ذلك أنهم اهتدوا إلى ربهم واحتموا فيه فزادهم سبحانه هدى وربط على قلوبهم، مصداقاً لقوله تعالى بشأنهم: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى. وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ**﴾ (١٣ و ١٤/الكهف).

٥٤- نوم الفتية فى الكهف :

نام الفتية السبعة فى كهفهم الذى لم يزل موجوداً بطريق الواحات إلى الآن. ولم يكن نومهم عادياً أو قصيراً مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا**﴾ (١١/الكهف). إنما كان نوماً عميقاً وطويلاً للغاية، ولو لم يكن موتاً، حتى لو ناموا ثلاثمائة وتسع سنين متصلة، حتى نسى باقى قومهم كم من الوقت غابوا عنهم، إنما كان الله يعلم على أى الأحوال، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا. قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا**﴾ (٢٥ و ٢٦/الكهف).

وقد ناموا فى فجوة من الكهف، تزورها الشمس حال طلوعها وحال غروبها، ويجرى تقليبهم يميناً وشمالاً وهم رقود، وكلبهم باسط ذراعيه بالمدخل، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ... وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ...**﴾ (١٧ و ١٨/الكهف).

ثم بعثوا من نومهم العميق والطويل، والتقوا بقومهم، حتى يعلموا أن البعث والساعة حق مؤكد، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا**﴾ (٢١/الكهف).

أى بعثوا والتقوا بقومهم، لكى يثبت لهم أن النوم كالموت، والموت كالنوم، أى كلاهما مؤقت، وبيد الله الذى يتوفى الأنفس حين منامها وحين مماتها، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (٤٢/الزمر). وكلاهما مؤقت مهما طال أمده، الذى لن يتجاوز مقدار يوم أو بعض يوم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ**﴾ (١٩/الكهف).

٥٥- موت الفتية :

لم تدم حياة الفتية طويلاً بعد بعثهم، فما لبثوا أن ماتوا جميعاً، ودفنوا معاً وجنباً إلى جنب. وعندئذ تنازعت القلة المؤمنة فيما بينها حول شكل المبنى الذى يليق بهؤلاء الموتى خاصة: أيكون بنياناً عادياً، أم بنيانا مستحدثاً، أى مبتكراً، فلا هو مربع أو مثلث أو دائرى أو مستطيل ... إلخ، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا**﴾ (٢١/الكهف).

وهو «مسجد» باللغة العربية الجامعة الموجودة وحدها وقتذاك، لكنه يعدل بعدئذ لفظ «هرم» باللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعدها بآلاف السنين، وبمعنى بنيان ضخم له شكل مُبتكر لأول مرة تاريخياً آنذاك. وكلاهما «إسم» بلغة عربية قائمة بذاتها إلى الآن، أى لم يندثر بمرور

الزمان آلاف السنين عليه، وبالتالى فهو لم يزل مسجداً بالعربية الجامعة وهرماً بالعربية الخاتمة، حتى لو كان لفظ هرم هو الأكثر شيوعاً فى الوقت الحالى.

وهذا المسجد هو أول هرم نوعياً وأقدم هرم تاريخياً وأكبر هرم حجماً على مستوى العالم، أى أكبر هرم مساحة وارتفاعاً، وكان فى الأصل جبلاً فى مشارق أرض الأوتاد، وجرت تجزئته قطعاً فى مكانه قبل نقلها وبحالتها إلى حيث مدفن أصحاب الكهف، الذين لا يشعرون بمرور الزمان عليهم آلاف السنين إلا يوماً أو بعض يوم، ولو أن شأنهم فى ذلك شأن غيرهم من الموتى الذين لن يطول مكوثهم فى مقابرهم إلا بقدر زيارتهم لها زيارة عابرة (٢/التكاثر).

وقد تم تشييده بأيدى رجال لا يقل طول قامة الواحد منهم عن ستين ذراعاً (٣٣ متراً)، إلا قليلاً، وبالتالى فبإمكانهم تشييده بأيديهم وحدها دون أى آلات أو أدوات، حتى لو كان هذا البناء على مساحة ١٣ فداناً، وبارتفاع ٤٥٠ قدماً، وبأكثر من مليونين ونصف من الأحجار الجبلية المتراصة فوق بعضها بدقة بالغة وبدون مواد لاصقة، ويتراوح وزن الواحد منها ما بين طنين وسبعين طناً.

وهو بهذا ليس أحد أوتاد أرض الأوتاد فحسب، إنما هو أيضاً الوتد الثالث بها بعد جبل قاف أو الطور وجبل صورة آدم الجبلية، بل هو حتى أصل الأهرام تاريخياً، أى كافة الأهرامات الأخرى هى مجرد استنساخات منه.

وتاريخياً لم يكن لفظ «خوف» أو «خوفو» سوى إسم انطباع يتولد لدى من يطلع على أصحاب الكهف حال رقودهم فى الكهف قبل موتهم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ**

رُعْبًا﴾ (١٨/الكهف). وبذا فالكلام بعدئذ عن «هرم خوفو» أو «هرم الملك خوفو»، إنما هى تخرصات فارغة، خاصة أن أرض الأوتاد لم تشهد أى نظام ملكى إلا بعد آلاف السنين من بناء الهرم الأكبر، أى فى عصر إبراهيم على نحو ما تقدم بيانه.

٥٦- أثر مجئ طوفان نوح :

هذا الطوفان حدث عالمى جغرافياً، أى عم كافة أرجاء الأرض بوجه عام، وبناء على دعوة نوح آنذاك مصداقاً لقوله تعالى على لسانه: **﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا. إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾** (٢٦و٢٧/نوح).

ولم يعصم الله من هذا الطوفان إلا الجودى بطور سينين، أى قمة أعلى جبل فى الأرض، والمرفأ الذى استوت عليه السفينة فى نهاية رحلتها، وذلك فى المغارب المباركة بأرض الأوتاد. أما مشارق أرض الأوتاد فقد شهدت هذا الطوفان ذاته الذى أثر فيها حجراً وقوماً كما يلى:

فأولاً: هذا الطوفان لم ينل من صورة آدم الجبلية إلا القليل جداً الذى يتمثل فى كسر أنفها. وهو لم يزل مكسوراً على نحو ما هو ظاهر للعيان حتى الآن، ولو لم يُنسب هذا الكسر بعد إلى طوفان نوح، وبالتالى لم يزل نهباً للتكهنات الخيالية. كما لم ينل هذا الطوفان من مسجد أصحاب الكهف، إلا القليل الذى يتمثل فى إزالة طبقة طينية كانت تغلف جدران هذا الهرم من الخارج. وهذه الإزالة لم تزل على حالها وظاهرة للعيان حتى الآن.

وثانياً: لم ينحسر الطوفان عن هذه الصورة وذاك المسجد، إلا بعد أن جمع حولهما الكثير من الرمال، التى ظلت تغمرهما إلى وقت متأخر

للغاية، وذلك من باب الحماية لهما لما يؤديانه من دور فى التاريخ الإنسانى، ولو لم يعد أيهما يُستخدم مؤخراً إلا كمزار سياحى ترفيهى على الأكثر.

وثالثاً: هذا الطوفان أغرق قوم أصحاب الكهف مؤمنين أو غير مؤمنين، ولا ضير فى ذلك على المؤمنين الذين سيبعثون على أعمالهم ونياتهم بعدئذ، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(إذا أراد الله بقوم عذاباً، أصاب العذاب من كان فيهم، ثم بعثوا على أعمالهم)**(٣٠٩/١١٨).

وعلى أى حال، لم يكن طوفان نوح نهاية العالم، وبالتالى لابد أن يثير تساؤلنا: ١- كم من الوقت بقيت أرض الأوتاد خالية من الناس بعد طوفان نوح؟ ٢- وكيف نشأ فيها أول قوم بعد هذا الطوفان؟ ٣- هل استفاد هذا القوم من معرفته صناعة السفينة لأول مرة تاريخياً؟.

الفرع الخامس
أول
قوم بعد الطوفان

٥٧- نواة هذا القوم :

كانت مشارق أرض الأوتاد خالية من الناس بعد طوفان نوح، وبالتالى مهيأة لاستقبال أحد الوفود الموفدة برياً إلى جهات متباينة فى الأرض بوجه عام. بل حتى كانت هذه المشارق هى أقرب الأماكن إلى المغارب المباركة حيث الجودى بطور سينين، تلك التى استوت عليها السفينة حاملة تلك الوفود منذ بداية رحلتها.

وكانت هذه المشارق مهيأة لاستقبال «وفد إلياس» دون غيره، وبالتالى لم يذكر القرآن قصة إلياس وقومه (فى الآيات ١٢٣-١٣٢) إلا

بعد ذكر قصة موسى وهارون وقومهما (فى الآيات ١١٤-١٢٢) فى سورة قرآنية واحدة، هى سورة الصافات. وذلك كاف بذاته للدلالة على أنهما قصتان حدثتا على التعاقب فى أرض واحدة، التى هى أرض الأوتاد فحسب زمن إلياس غداة الطوفان، بينما أصبحت أرض الأوتاد وأرض مصر معاً زمن موسى وهارون فى منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد. والكل نجاه الله من الكرب العظيم (٧٦ و١١٥/الصافات) وبحسب الأحوال.

فإلياس لم يكن حفيد نوح فحسب، إنما كان أيضاً من أهله الناجين معه فى السفينة حتى استوت على الجودى بطور سينين، بل حتى لم يذهب بوفده من طور سينين إلا بعد أن ساهم مع يونس ابن عمه، حول من يترأس هذا الوفد، لكن يونس كان من المدحضين، وبالتالى ذهب إلياس بوفده من طور سينين، دون أن يشهدوا – حتى – وفاة نوح، أو ذهاب يونس مغاضباً بعدئذ.

ولفظ إلياس من ألفاظ اللغة العربية الجامعة التى كانت موجودة وحدها آنذاك. لكنه يتكون من مقطعين هما: «ال» كأداة للتعريف فضلاً عن «يس» الذى كان إسم القتيل من ولدى آدم اللذين قربا قرباناً، وكان من ألفاظ لغة الصاد العربية الفاتحة. وهو بهذا يعدل «إل ياسين» بالعربية الجامعة أيضاً مصداقاً لقوله تعالى بشأنه: ﴿**سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ**﴾ (١٣٠/الصافات).

أى سلام كامل عليه، أو سلام عليه «فى العالمين» باللغة العربية الجامعة، كالسلام على نوح مصداقاً لقوله تعالى بشأنه: ﴿**سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ**﴾ (٧٩/الصافات). وهو السلام «الثلاثى» عليه باللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعدئذ بآلاف السنين، كالسلام على يحيى مصداقاً

لقوله تعالى بشأنه: ﴿**وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا**﴾ (١٥/مريم). وكالسلام على عيسى مصداقاً لقوله تعالى على لسانه: ﴿**وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا**﴾ (٣٣/مريم).

٥٨- قوم إلياس :

كان إلياس ووفده نواة أول قوم نوعياً وأقدم قوم تاريخياً فى أرض الأوتاد بعد الطوفان، مصداقاً لقوله تعالى على لسانه إلى قومه: ﴿**إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ**﴾ (١٢٤/الصافات).

فقومه أول من استنسخ من «المسجد» الأول قبل الطوفان، «مسجديين» آخرين خلفه وظاهرين للعيان حتى الآن، ولو كانا أقل منه حجماً ومساحة وارتفاعاً، أى أقام هذا القوم بعد الطوفان «هرمين» أصغر من الأول وموجودين إلى الآن، ولو كانا هرمين باللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعدئذ بآلاف السنين.

لكنهما كانا «مدفنين»، وجرى هذا القوم على الدعاء لمن قبرا فيهما أياً كانا، دون الدعاء لله، مصداقاً لقوله تعالى على لسان إلياس إليهم: ﴿**وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ. أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ. اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ**﴾ (١٢٣-١٢٦/الصافات).

وليس صحيحاً ما يقال حالياً عن كونهما مدفنين لملكين هما «خفرع ومنقرع». فأرض الأوتاد لم تعرف نظام الدولة ولا النظام الملكى لأول مرة تاريخياً، إلا بعد ذلك بآلاف السنين، أى فى عصر إبراهيم وذلك على نحو ما تقدم بيانه.

وعلى أى حال، غالبية هذا القوم دون أقليته كذبوا نبيهم إلياس، مصداقاً لقوله تعالى فى هذا الشأن: ﴿**فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ. إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ**﴾ (١٢٧ و١٢٨/الصافات).

لكن سيظل الناس على الدوام يتسمون بإسم «إلياس» أو «إل ياسين»، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ**﴾ (١٢٩/الصافات). وأولهم إبراهيم الذى سمى ابنه البكر من هاجر «إل ياسين» بالعربية الجامعة الموجودة وحدها آنذاك، ولم يكن إبراهيم قد بُشر باسمه كما بُشر باسم إسحاق ويعقوب. وظل إبنه بهذا الإسم وحده، حتى بلغ أربع عشرة سنة، فأصبح «إسماعيل» باللغة العربية الخاتمة التى تلقاها لأول مرة تاريخياً من ربه مباشرة.

٥٩- استنساخ سفينة نوح :

أولاً: لا اختلاف هناك بين قوم أصحاب الكهف وبين قوم إلياس، لا من حيث «التوطن» فى مشارق أرض الأوتاد دون مغاربها المباركة، ولا من حيث «اللغة العربية الجامعة» التى كانت موجودة آنذاك فى بكة ثم فى أرض الأوتاد ثم فى الأحقاف.

وبذا لم يعد لأحد بعدئذ أن يُخطى فى معرفة أمرين على الأقل:
١- معرفة متى وكيف نشأت اللغة فى أرض الأوتاد لأول مرة تاريخياً؟.
٢- معرفة ماهية هذه اللغة تحديداً؟. فهى اللغة العربية الجامعة التى تلقاها آدم مباشرة من ربه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا**﴾ (٣١/البقرة). ولا يصح تسميتها بعدئذ «اللغة المصرية القديمة» ولو تجوزاً، لكونها أسبق فى الوجود تاريخياً من تسمية تلك الأرض «أرض مصر»، وأسبق بآلاف السنين.

وثانياً: لكن هناك اختلاف بين القومين، سواء من الوجهة الزمنية نسبة إلى ما قبل أو بعد الطوفان، أو من الوجهة الشخصية نسبة إلى الموطن الأصلى بكة أو الأحقاف، أو من الوجهة العلمية.

فقوم إلياس وحدهم – دون قوم أصحاب الكهف قبل الطوفان – قد اكتسبوا بالضرورة معرفة علمية جديدة للغاية، وتتعلق بصناعة السفن لأول مرة تاريخياً، وكذا الإبحار بها من مكان إلى آخر، ولو فى موج عال علو جبال الأرض (٤٢/هود). ونوح هو أول من اكتسب هذه المعرفة العلمية من ربه مباشرة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا**﴾ (٢٧/المؤمنون).

وكذا ركاب هذه السفينة بدورهم اكتسبوا معرفة بأن المنجى من خطر الملاحة بها هو الله وحده، ولو أصبحت السفن تستخدم مؤخراً حتى فى القرصنة والاستعمار والبغى فى الأرض، مصداقاً لقوله تعالى فى هذا الشأن: ﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَينَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ (٢٢و٢٣/يونس).

وثالثاً: لم تزل تلك السفينة «آية» قائمة بذاتها، وقائمة إلى الآن وإلى مالا نهاية، وقابلة للاستنساخ والملاحة بها، سواء فى الأنهار أو فى البحار أو حتى فى المحيطات. فلا يُستبعد بعدئذ أن يكون قوم إلياس قد صنعوا لأنفسهم سفينة أبحروا بها جنوباً فى نهر النيل، ولو فى عكس جريانه، ولو حتى بعد حدود أرض الأوتاد، حيث كانت بشرتهم تزداد

إغمقاقاً من شدة حرارة الشمس. حتى سُمى هذا الفريق «سوداً»، وقبل أن تُسمى أرضهم الجديدة بعدئذ «السودان» مثلاً. وهكذا نشأت أقوام تلو أقوام فى «أفريقا» لأول مرة تاريخياً بعد طوفان نوح.

كما لا يُستبعد أن يكون فريق آخر من هذا القوم قد صنعوا لأنفسهم سفينة أكبر أبحروا بها عبر المحيط من ساحله الشرقى إلى ساحله الغربى، فى زمن كان طول قامة الرجل لا يقل كثيراً عن ستين ذراعاً (٣٣ مترا)، وبالتالى كانوا أقدم فريق وطأت أقدامه أرض «أمريكا»، وحيث وُجد فيها مؤخراً اهرامات مثلاً، أى أهرامات مستنسخة من الهرمين اللذين أوجدهما قوم إلياس فى مشارق أرض الأوتاد.

وعلى أى حال، ما من أحد حالياً يُنكر أن رحلة كريستوفر كولمبس عبر المحيط إلى أمريكا لم تكن الأولى تاريخياً، وأنه لولا سفينة نوح قبل ذلك بآلاف السنين ما عبر هذا الشخص أو غيره المحيط إلى أمريكا، ولا دار ماجلان حول سواحل أفريقيا. كل ما هناك أننا لم نتعلم بعد كيف نبحث فى القرآن والسنة عن إسهام مصر فى المشهد القرآنى منذ بداياته، وحتى قبل تسميتها مصر بآلاف السنين؟

٦٠- نبى أرض الأوتاد :

إذن شهدت بكة وأرض الأوتاد ازدهاراً حجرياً، وذلك قبل الأحقاف التى شهدت أيضاً صناعة السفينة لأول مرة تاريخياً، ولو لم تلبث هذه الصناعة ذاتها أن وصلت بعد الطوفان إلى بكة على يد أيوب بن نوح، كما وصلت حتى إلا أرض الأوتاد على يد إلياس حفيد نوح.

وبهذا لم تعد الناس تركب الأنعام وحدها دون الفلك، إنما أصبحوا يركبون الفلك والأنعام، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ**

وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ. لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ. وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ (١٢-١٤/الزخرف).

إذن بكة شهدت نبيين متعاقبين زمنياً ومتباعدين تاريخياً هما: آدم كأول نبى بكى قبل الطوفان، ثم أيوب بن نوح كآخر نبى بكى غداة الطوفان بعد أن قدم إليها من الجودى بطور سينين وعقب وفاة آدم وزوجه بزمان طويل. وكذا الأحقاف شهدت نبيين متعاقبين زمنياً ومتباعدين تاريخياً هما: نوح قبل الطوفان، ثم هود بعد هذا الطوفان وعقب وفاة نوح وإرم بزمان طويل.

وأيضاً أرض الأوتاد شهدت نبيين متعاقبين زمنياً ومتباعدين تاريخياً هما: إدريس بعد ذى الكفل قبل الطوفان، ثم إلياس حفيد نوح غداة هذا الطوفان وقادماً من الجودى بطور سينين، وذلك بعد وفاة إدريس بزمان طويل. بل حتى شهدت أرض الأوتاد قبل الطوفان سبعة فتية من أهل الذكر فى القرآن، ولو لم يكونوا أنبياء. وهم أصحاب الكهف، الذى هو أكبر كهوف مصر حالياً، ولم يزل قائماً بطريق الواحات إلى الآن، أى لم يزل ظاهراً للعيان.

فالنبى قديماً سواء فى بكة أو فى أرض الأوتاد أو فى الأحقاف، هو خلق من خلق الله، أى خلق قائم بذاته، وله إذن نشأتان متعاقبتان زمانياً ومتباعدتان تاريخياً (٤٩/الذاريات)، ويجب التمييز بين نشأتيه (٢٠/العنكبوت) وذلك على النحو السالف بيانه فى ترتيب جغرافى وتاريخى وشخصى وحضارى، ولو لم يكن هذا الترتيب معلوماً لدى شراح قصص الأنبياء إلى الآن.

المطلب الثالث
أرض مصر

تنويه:

قصة مصر جزء من قصة «العالم»، الذى صار محظوراً عليه «الإساءة» إلى خاتم الرسل حال حياته أو بعد مماته وإلى مالا نهاية. **فأولاً:** لم يترك القرآن هذه «الإساءة»، بدون «حكم» من جانبه، وبصرف النظر عن المسئ أو دولته أو حريته فى التعبير أو شكل الإساءة.

وفى هذا الحكم اكتفى القرآن بتوجيه خاتم الرسل وحده باعتباره صاحب الحق فى رد الإساءة، ولكيلا يُلقى بالاً إلى هذه الإساءة الشخصية، حتى لو كانت حال حياته. لأن من يُشينه بنقص أياً كان، هو الناقص بكل النقائص بإطلاق مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾ (٣/الكوثر).

وثانياً: القرآن بهذا لم يُلق على المسلمين واجباً، ولم يخولهم حقاً، فى الانتقام من المسئ إلى نبيهم، إنما ألزمهم بمعرفة ماهية الأبتر على الأكثر، لكى تهدأ نفوسهم حيال تلك الإساءة، فلا تأخذهم بعدئذ العزة بإثم الانتقام من المسئ. خاصة أن لفظ الأبتر، كألفاظ أخرى مثل الصمد والفلق وكبد ... إلخ، من ألفاظ اللغة العربية الجامعة التى تلقاها آدم مباشرة من ربه (٣١-٣٣/البقرة).

ثالثاً: لذا لم يرد هذا اللفظ فى القرآن إلا مرة واحدة، ولم يرد فيه إلا مصحوباً بما يعدله من ألفاظ اللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعدئذ بآلاف السنين، بل حتى لم يرد مُعادله بدوره فى القرآن إلا مرة واحدة، مصداقاً لقوله تعالى بشأن الأبتر: ﴿**كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ. هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ. مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ. عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ. أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ. إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾ (١٠-١٥/القلم). وببساطة بالغة للغاية، الأبتر ليس أدنى من الرويبضة فحسب، إنما أيضاً أدنى الناس أدباً بإطلاق، بل هو حتى «الدونية» ذاتها من كل وجه، ولا يجوز بعدئذ الانتقام منه ولو بالضرب على الأقل، وذلك عملاً بمبدأ: الضرب فى الميت حرام، أى هو حى فى حكم الميت.

مقدمة المطلب

٦١- متى حُدت حدود مصر جغرافياً؟

أرضها لم تُسم «أرض الأوتاد» إلا بعد أن تلقى آدم مباشرة من ربه اللغة العربية الجامعة، ولو لم تطأها أقدامه على الإطلاق. ثم لم تُسم «أرض مصر» إلا فى وقت متأخر نسبياً، أى بعد أن تلقى إسماعيل مباشرة من ربه اللغة العربية الخاتمة، ولو لم تطأها أقدامه على الإطلاق. وكلاهما إسم أرضها، الذى لم يزل قائماً إلى الآن على الأقل، أى لم ولن يندثرا بمرور الزمان آلاف السنين عليهما.

لكن أرض الأوتاد لم تشهد دولة ملكية عليها إلا مرة واحدة، تلك التى زارها إبراهيم حال حياته (٢٥٨/البقرة). وقبلها كان الموجود هو «النظام القبلى» فى أرض الأوتاد كما فى غيرها من أرض الله بوجه عام.

أما بعد تسميتها مصر، فقد تعاقبت على أرضها «أنظمة» الدولة الملكية، التى كان أشهر ملوكها ما يلى: ملك رؤية البقرات والسنبلات فى منامه. ويوسف ملكها الذى لم يكن من أهلها. وفرعون ملكها الإسرائيلى الأخير تاريخياً. والملك الذى كان يأخذ كل سفينة غصباً. فأيهم إذن الملك الذى حدد حدودها الجغرافية القائمة إلى الآن؟. ومن ثم تتوزع محتويات المطلب الراهن على ما يلى: ١- اسم مصر. ٢- الدولة الملكية. ٣- الحدود الجغرافية.

الفرع الأول
اسم مصر

٦٢- أساس الإسم :

إسم مصر أحدث زمنياً وأقل رسوخاً من إسم «أرض الأوتاد»، الذى اتخذه بعدئذ كأساس له رغم كونه من ألفاظ اللغة العربية الجامعة،

وبالتالى لم تتجاوز حروف إسم مصر ثلاثة حروف عربية ولو أنه من ألفاظ اللغة العربية الخاتمة، وذلك كما يلى:

فأولاً: إسم مصر فى حداثة ورسوخ «إسم مكة» الذى جاء بعد «إسم بكة» باللغة العربية الجامعة. فكلاهما من ألفاظ اللغة العربية الخاتمة، التى كان إسماعيل أول من تلقاها مباشرة من ربه، وقبل وجود قريش ولغتها بآلاف السنين، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(أول من فتق لسانه بالعربية المبينة، إسماعيل، وهو ابن أربع عشرة سنة)** (٢٥٨١/٥٠٤).

وقبل أن يتلقاها لم يكن إسمه إسماعيل، إنما كان إسمه «إل ياسين» بالعربية الجامعة التى كانت لغته ولغة أبيه قبل أن يتلقى اللغة العربية الخاتمة. خاصة أن والده قد بُشر به كغلام حليم لكن لم يُبشر بإسمه آنذاك، وذلك على خلاف بشارته باسحق ويعقوب، اللذين بُشر إبراهيم بهما وبشر حتى بإسميهما باللغة العربية الجامعة، وبالتالى لهما إسمان بعدئذ باللغة العربية الخاتمة هما: شعيب وإسرائيل على التوالى.

لكن لم يزل شراح القرآن وقصصه يجهلون أمرين إلى الآن: ١- أن إسماعيل كان مُسمى طوال الأربع عشرة سنة الأولى من عمره على إسم «حفيد نوح»، أى على إسم «إلياس» (١٢٣/الصافات) أو «إل ياسين» (١٣٠/الصافات). ٢- أن اسحق هو شعيب وأن شعيب هو اسحق، مثلما يعقوب هو إسرائيل، وإسرائيل هو يعقوب.

وثانياً: حتى أوتاد أرض الأوتاد، لم تتجاوز ثلاثة أوتاد، أى لم تتجاوز ثلاثة جبال رواسى قائمة من قبل طوفان نوح إلى الآن، هى جبل قاف أو الطور، وجبل صورة رأس آدم، وجبل مسجد أصحاب الكهف، أى

أن إسم مصر بحروفه الهجائية الثلاثة لم يتجاوز كثيراً أوتاد أرض الأوتاد، بل حتى اتخذ هذا الإسم الأخير كأساس له.

وثالثاً: وحتى ثلاث لغات عربية متباينة نوعياً، تعاقبت تاريخياً، على أرضها ولو لم تتمخض إلا عن إسمين لهذه الأرض، أقدمهما: أرض الأوتاد، وأحدثهما مصر، لكن هذه اللغات الثلاث موجود فى مصر منذ تلقى إسماعيل اللغة العربية الخاتمة، وذلك قبل آلاف السنين من وجود قريش ولغتها.

وهى نفس اللغات التى تعاقبت تباعاً على «أرض طسم» باللغة العربية الفاتحة (١/الشعراء، ١/القصص)، ثم «أرض بكة» باللغة العربية الجامعة (٩٦/آل عمران)، ثم «أرض مكة» باللغة العربية الخاتمة (٢٤/الفتح)، وذلك قبل آلاف السنين من وجود قريش ولغتها.

ومع ذلك لم تزل كافة مناهج ومدونات أهل اللغة وأهل التاريخ وأهل الجغرافية وأهل الآثار وغيرهم، تُنكر معرفة مصر بجوامع العربية، بل تُنكر وجود جوامع العربية أصلاً، وبالتالى تُنكر وجود هذه الجوامع فى القرآن والسنة والعياذ بالله منها إذن.

٦٣- جوامع العربية فى القرآن :

اللغة العربية إجمالاً، لا تعدل اصطلاحياً إلا «لغة القرآن العربية» (٢/يوسف، ٣/الزخرف)، التى بدورها لا تعدل اصطلاحياً إلا «جوامع العربية» على تباينها نوعياً وتعاقبها تاريخياً، وذلك بمراعاة ما يلى:

فأولاً: حتى لغة القرآن لم تقتصر على لغة «الضاد» العربية وحدها، دون لغة «الصاد» العربية التى كانت موجودة قبلها تاريخياً. وخصها هذا القرآن بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها، هى السورة رقم (٣٨)، أى «سورة

ص~). كما خصها بموضوع آية قرآنية قائمة بذاتها، بل خصها حتى بموضوع الآية الأولى فى سورتها، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**ص~ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ**﴾ (١/ ص~)، بمعنى أن لغة الصاد العربية إحدى لغات القرآن ذى الذكر.

وهكذا حظت لغة الصاد العربية بآيتين، وبالتالى فهى لا تقل عن لغة الضاد العربية من أى وجه من الوجوه. بل هى الأسبق فى الوجود تاريخياً منها، أى هى بمثابة الأصل التاريخى لها، حتى لو كانت لغة الصاد العربية خارج مُدركات شراح القرآن وقصصه طوال الأربعة عشر قرنا الماضية، وبالتالى جاءت كافة مناهجهم ومدوناتهم خالية تماماً من تأويل آيات هذه اللغة مثل: ق، ص~، طه، يس، كهيعص، طسم، طس، ألم، الر ... إلخ، رغم أن القرآن ذاته لم يُفرط فى بيان أى شئ على الإطلاق (٣٨/الأنعام، ٨٩/النمل).

وثانياً: حتى لغة «الضاد» العربية فى القرآن والسنة، لم تقتصر على لغة الضاد «الآخرة» تاريخياً وحدها، دون لغة الضاد «الأولى» تاريخياً التى تلقاها آدم مباشرة من ربه (٣١-٣٣/البقرة)، وكانت موجودة وحدها حتى فى عصر إبراهيم. وهى اللغة العربية الجامعة التى بدورها لم تزل خارج مُدركات شراح القرآن وقصصه، وبالتالى جاءت كافة مناهجهم ومدوناتهم خالية تماماً من تأويل آيات هذه اللغة مثل: الصمد، الفلق، الأبتر، كبد، مريم، نوح، يونس، هود، إبراهيم ... إلخ، رغم أن القرآن ذاته لم يُفرط فى بيان أى شئ على الإطلاق.

وثالثاً: تعاقبت الثلاث لغات عربية تباعاً على «الأرض» التى لم تسم مصر لأول مرة تاريخياً، إلا بعد أن تلقى إسماعيل مباشرة من ربه اللغة العربية الخاتمة (٢١و٩٩/يوسف)، وذلك بعد آلاف السنين من تلقى

آدم من ربه مباشرة اللغة العربية الجامعة (٣١-٣٣/البقرة)، حيث كانت تلك الأرض ذاتها مسماة وقتذاك «الأرض ذات الأوتاد» (١٢/ ص~، ١٠/الفجر).

وقبلهما تاريخياً، وحتى قبل تسمية تلك الأرض بأى إسم، فقد شهدت وجود اللغة العربية الفاتحة أى لغة الصاد العربية (١/ ص~)، ممثلة فى إسم جبل قاف (١/ق)، الذى أصبح بعدئذ جبل الطور بلغة الضاد العربية (١/الطور).

وهكذا تعاقبت على تلك الأرض ثلاث لغات عربية تباعاً، وقبل آلاف السنين من نزول القرآن، الذى لم يأتها إلا عام ٢٠هـ/٦٤٢م، وجاءها بلغاته العربية الثلاث وهى: الفاتحة (١/ ص~) والجامعة (٣١-٣٣/البقرة)، والخاتمة، والتى تعاقبت على تلك الأرض ذاتها من قبل وجود قريش ولغتها بآلاف السنين.

٦٤- جوامع العربية فى السنة :

المؤسسات اللغوية العربية منذ كانت فى مهدها منذ أربعة عشر قرناً مضت، أى منذ كانت مجرد كتاتيب، أضاعت «مفهوم جوامع العربية»، الموجود فى ثلاثة أحاديث نبوية، وأضاعته لحساب البلاغة والفصاحة، أى لحساب «بلاغة الحديث». وذلك بمقولة «فقد أوتى الرسول جوامع الكلم. وهو أفصح فصحاء العرب. فالبلاغة تنسب إلى النبى وليس إلى اللغة العربية، وكأنها مستقلة عنها»([1]).

([1]) انظر مثلاً حسن حنفى: من النقل إلى العقل، ط١ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ٢٠١٣ – ص ٣١٩.

ومؤدى هذا «الرأى» الذى تتبناه كافة المؤسسات اللغوية الموجودة على مستوى العالم فى شكل أكاديميات أو أقسام ومجامع للغة العربية، أن هذه الأحاديث الثلاث كانت تعمل حال حياة الرسول، ولم تعد تعمل بعد مماته، بينما العكس هو الصحيح بإطلاق، أى هى نافذة عملياً حال حياته وبعد مماته وإلى مالا نهاية، وذلك كما يلى:

فأولاً: لم تزل جوامع العربية وجهاً من وجوه أفضلية خاتم الرسل على غيره من الأنبياء، مصداقاً لقوله: **(فُضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم و ...)** (٤٢٢٢/٧٧٨). فآدم مثلاً باعتباره أول الأنبياء لم يُعط العربية الخاتمة، التى لم يتلقاها إسماعيل من ربه إلا بعد وفاة آدم بآلاف السنين، رغم أن آدم قد تلقى العربية الجامعة كما أُعطى العربية الفاتحة أى لغة الصاد العربية التى سمى بها إبنيه طه ويس اللذين قربا قرباناً.

وحتى إسماعيل ذاته لم يُعط العربية الفاتحة، إنما أُعطى العربية الخاتمة بعد أن عرف العربية الجامعة طوال الأربعة عشر عاماً الأولى من عمره قبل أن يتلقى العربية الخاتمة. وهو لم يُعط العربية الفاتحة، لأنه ليس أول الأنبياء تاريخياً، ولا هو آخر الأنبياء تاريخياً.

وأيضاً فُضل خاتم الرسل على الأنبياء الآخرين، سواء الأنبياء قبل إسماعيل والذين لم يُعطوا سوى العربية الجامعة، أو الأنبياء بعد إسماعيل الذين لم يُعطوا سوى العربية الخاتمة. فيونس مثلاً، لم يكن يعلم أن الذى التقمه «حوت» بالعربية الخاتمة، إنما كان يعلم أنه «النون» بالعربية الجامعة. وحتى موسى مثلاً، لم يكن يعلم بوجوده فى «الواد المقدس طوى» بالعربية الجامعة، إنما كان يعلم بأنه فى مجرد «ربوة ذات قرار ومعين» باللغة العربية الخاتمة، وبالتالى أمره الله أن يخلع نعليه.

وثانياً: خاتم الرسل لم يُعط جوامع العربية الثلاث فحسب، إنما أيضاً بُعث بجوامع العربية إلى كافة المخاطبين بالقرآن، مصداقاً لقوله: **(بُعثت بجوامع الكلم و ...)** (٢٨٣٠/٥٤٥). وبهذا لم يعد لأحد من هؤلاء المخاطبين بالقرآن أن يعتذر بجهله بجوامع العربية، وإن اعتذر فإن اعتذاره غير مقبول، أى كأنه لم يكن.

وثالثاً: هذه الجوامع التى فضل بها خاتم الرسل على غيره من الأنبياء، وبُعث بها إلى كافة المخاطبين بالقرآن، هى «ثلاث» لغات عربية عداً وحصراً، ومتباينة نوعياً، ومتعاقبة تاريخياً مصداقاً لقوله: **(أعطيت فواتح الكلام، وجوامعه، وخواتمه)** (١٠٥٨/٢٥١). أى أُعطيت العربية الفاتحة وهى لغة الصاد العربية (١/ ص~)، والموجودة فى مُفتتح رُبع سور القرآن. وكذا العربية الجامعة التى تلقاها آدم من ربه وعلمها للملائكة (٣١-٣٣/البقرة). وكذا العربية الخاتمة التى تلقاها إسماعيل من ربه.

وقد أُعطيها خاتم الرسل معاً، وعلى السواء، وعلى قدم المساواة من حيث الوزن النسبى فى هذا القرآن شكلاً ومضموناً. فكل واحدة من هذه اللغات الثلاث تعدل ثلث القرآن شكلاً ومضموناً، وبصرف النظر عن قلة أو زيادة آياتها أو سورها، وعن كونها لغة صاد أو لغة ضاد، وعن قدمها أو حداثتها تاريخياً، وعن كونها لغة ملائكة أو لغة إنس أو لغة إنس وملائكة.

وعلى أى حال، هذا العرض كافٍ بذاته لاتخاذ موقف حاسم، حيال مناهج الإنسان ومدوناته القديمة، وحتى حيال كيفية التعامل مع القرآن والسنة مستقبلاً.

٦٥- مناهج الإنسان ومدوناته القديمة :

لم تزل هذه المناهج والمدونات تُنكر وجود جوامع العربية فى القرآن والسنة، وبالتالى كادت أن تعصف بالدين مرة من قبل، لولا تأييد الله له آنذاك، أى قبل أن تنقضى ستة قرون ونصف على وفاة الرسول. إذ سلط سبحانه عليها هولاكو كفاجر والتتار كقوم لا خلاق لهم، فألقوا كافة ما وجدوه منها فى نهر دجلة غداة سقوط بغداد والدولة العباسية، وذلك من باب تأييده سبحانه للدين وقتذاك، مصداقاً لقول خاتم الرسل سلفاً: **(إن الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر)** (١٨١٣/٣٧٢). وقوله أيضاً: **(إن الله تعالى يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم)** (١٨٦٦/٣٨٠).

ولا ريب أن العيب موجود فى أربابها أكثر مما هو موجود فيها، وأكثر بكثير جداً، وبصرف النظر عن أشخاصهم وأسمائهم وأزمانهم وأوطانهم ومللهم. فيكفى أنهم أقدموا على «التأليف» فى القرآن والسنة، رغم أن معرفتهم بلغة هذا القرآن لم تتجاوز ثلث هذه اللغة، دون ثلثيها على الأقل. أى استعجلوا كثيراً فى هذا التأليف، دون أن يكونوا مستعدين له إلا قليلاً، أو حتى أقل القليل.

لذا، لم تلبث هذه المناهج والمدونات أن شهدت عملية إحياء لها بحالتها القديمة، وبالتالى لم يزل أربابها يتشبثون بها، بزعم أنها التراث، ولو على حساب معرفة الناس بالقرآن والسنة. خُذ مثلاً فى مصر على الأقل. قلما تجد أحداُ من أهلها يعرف: كيف أن «الغلام المصرى» الذى وجده الخضر وموسى خلال جولتهما، لم يستأهل الإصلاح على يد الخضر، واستأهل القتل على يده؟

فالإجابة ذات شطرين: ١- لأن الغلام لم يكن قابلاً للإصلاح على يد والديه المؤمنين، ولا قابلاً له – من باب أولى – على يد غيرهما، ولا حتى يد الخضر. ٢- ولأن السبب لم يرد مباشرة فى «قصة الخضر» بسورة الكهف، إنما ورد فى «قصة الحوار بين الغلام ووالديه» بسورة أخرى، هى سورة الأحقاف، مصداقاً لقوله تعالى بشأن حوارهم معاً: **﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾** (١٧/الأحقاف). وقول خاتم الرسل: **(الغلام الذى قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً)** (٤١٨٣/٧٧٠).

٦٦- مستقبل التعامل مع القرآن فى مصر:

إذن تلك المناهج والمدونات لا تتعلق فقط بتفسير القرآن من منظور لغة عربية واحدة، دون اللغتين العربية السابقتين عليها تاريخياً، إنما تتعلق أيضاً بتفسير لغوى على الأكثر، أى بطريق المعاجم اللغوية أو الشعر الجاهلى، أو بطريق الاجتهاد بالرأى الفردى أو الجماعى، أو بطريق القياس الشخصى عليه، وبالتالى فهى لا تتمخض إجمالاً إلا عن مجرد «وسيلة» لا يقبل بها القرآن ذاته، أو بالأحرى وسيلة من وسائل «هجر القرآن».

علماً بأن هذا الهجر بصفة خاصة، قد حذر منه القرآن والسنة معاً، وحذرا منه إجمالاً وتفصيلاً، أى سواء كان هجراً كلياً أو جزئياً (٨٥/البقرة)، أو كان هجراً موضوعياً أو شكلياً، أو كان هجراً دائماً أو مؤقتاً، أو كان هجراً صريحاً أو ضمنياً، أو كان هجراً قديماً أو حديثاً،

مصداقاً لقوله تعالى على لسان رسوله إليه سبحانه مباشرة: ﴿**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا**﴾ (٣٠/الفرقان).

وقوله تعالى رداً على رسوله مباشرة بشأن هذه الظاهرة المحظورة بإطلاق: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا**﴾ (١٧٥و ١٧٦/الأعراف):

فأولاً: لا يقبل القرآن «تفسيراً» له، إلا إذا كان أحسن تفسير بالحق الموجود فيه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**﴾ (٣٣/الفرقان). ومبنى هذه القاعدة، أن القرآن لم ينزل بلغة عربية واحدة نوعياً أو تاريخياً، إنما نزل بجوامع العربية الثلاث المتباينة نوعياً والمتعاقبة تاريخياً، وذلك على نحو ما تقدم بيانه.

وثانياً: لا يقبل القرآن أحسن تفسير بالحق، إلا إذا كان استبياناً لما فى القرآن ذاته، الذى تكفل ببيان نفسه بنفسه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾ (١٩/القيامة). خاصة أن هذا القرآن مهيأ لاستبيان ما فيه، أى مُيسر لاستذكاره مصداقاً لقوله تعالى أربع مرات فى سورة القمر: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**﴾ (١٧و ٢٢و ٣٢و ٤٠/القمر).

وثالثاً: لا يقبل القرآن استبيان أحسن تفسير بالحق، إلا إذا كان بياناً «مباشراً» لما فى القرآن ذاته، الذى لم يُفرط فى بيان أى شئ على الإطلاق (٣٨/الأنعام) ونزل تبياناً لكل شئ بإطلاق (٨٩/النحل)، ولا حاجة له بعدئذ إلى القياس عليه. خاصة أن هذا القرآن قد حظر القياس الشخصى عليه، ولو لم يحظره على لائحته التنفيذية أى السنة، ولا على

لائحتهما الفرعية أى القانون الوضعى مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾ (٨٣/النساء).

٦٧- تصحيح الخطاب القديم والحديث :

فهل مصر بعدئذ فى حاجة إلى مجرد «تجديد» الخطاب الدينى، أم فى حاجة إلى «تصحيح» هذا الخطاب أصلاً، سواء الخطاب القديم أو حتى الخطاب الحديث؟. علماً بأن الرسول قد حذر أمته من خطأ الخطاب القديم، وذلك بقوله: **(يرد على يوم القيامة رهط من أصحابى، فيجلون عن الحوض. فأقول: أى رب أصحابى. فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك. إنهم ارتدوا على أدبارهم)** (٨٠٨٢/١٣٤٣).

وهو بهذا يحذر أمته – ومن باب أولى – من خطأ الخطاب الحديث، حتى لو كان هذا الخطأ موجوداً لدى «مجمع اللغة العربية» بالقاهرة، وفى صفحة (٦٥٦) من معجمه الوجيز الصادر عام ١٩٩٧، وحيث يقول لوزارة التربية والتعليم المصرية، أن «الهواء غاز يغلف الكرة الأرضية ويتكون من النيتروجين والأكسجين وغازات قليلة أخرى».

فلفظ الهواء من ألفاظ اللغة العربية الجامعة، وبالتالى لم يرد فى القرآن إلا مرة واحدة، وذلك فى قوله تعالى: ﴿**وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء**﴾ (٤٣/إبراهيم). وهذا اللفظ يعدل بعدئذ لفظ الفراغ باللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعدها بآلاف السنين، وبالتالى لم يرد هذا اللفظ بدوره فى القرآن إلا مرة واحدة، وذلك فى قوله تعالى: ﴿**وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا**﴾ (١٠/القصص).

إذن الفراغ هو الهواء، والهواء هو الفراغ، وليس أكثر من الفراغ، حتى لو كان هذا الفراغ مملوءاً بـ «جو السماء»، الذى هو جو السماء

على استقلال، فلا هو الهواء، ولا هو الفراغ، ولا هو يتبع الأرض مطلقاً، إنما يتبع السماء دائماً سواء فى اللغة العربية الجامعة وذلك فى قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ**﴾ (٧٩/النحل)، أو فى اللغة العربية الخاتمة وذلك فى قول خاتم الرسل: **(لو قلت بسم الله، لرفعتك الملائكة والناس ينظرون إليك حتى تلج فى جو السماء)** (٥٢٧٦/٩٣٤). وهذا «الجو» على استقلال، هو ما يتكون من عناصره.

وبدهى أن أزمة هذا المجمع اللغوى ومعجمه وتلك الوزارة وطلابها فى مصر، لا تقتصر على ألفاظ الهواء والفراغ وجو السماء، إنما تطال غيرها من ألفاظ قرآنية هى «اصطلاحات»، وليست مجرد ألفاظ لغوية كما يحلو لذاك المجمع اللغوى أن يعاملها به. لذا فإن أزمته طالت حتى «لفظ مصر» وذلك على نحو ما بيناه آنفاً.

الفرع الثانى
الدولة الملكية

٦٨- أقدم نظام ملكى :

الدولة الملكية فى هذه الأرض أسبق تاريخياً من تسميتها مصر لأول مرة، أى كانت هذه الدولة موجودة فى أرض الأوتاد، وكانت أول وأقدم دولة بإطلاق. وهى الدولة التى زارها إبراهيم، وقابل ملكها، الذى كان من أهلها، ولو كان ملكاً كافراً (٢٥٨/البقرة) وفاجراً، وذلك على نحو ما تقدم بيانه.

أما بعد تسمية أرضها مصر، فقد شهدت ملكاً صالحاً من أهلها، قبل ملك نبى كان إسرائيلياً، وذلك قبل ملك إسرائيلى آخر وأخير وكان مجرماً وطاغياً فى الأرض، ثم ملك من أهلها بعدئذ، ولم يكن منهم

«فرعوناً» إلا واحداً، وبالتالى فالكلام عن وجود «ملوك فراعنة» حتى منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد، إنما هو من قبيل التخرصات الفارغة من المؤرخين الذين يستعذبون تلوين التاريخ المصرى بلون فرعونى، أى بلون إسرائيلى، ولو دون وعى منهم. وهذا على التفصيل التالى:

٦٩- الملك المصرى صاحب الرؤية :

هو أحد ملوك تلك الدولة التى نشأت فى أرض الأوتاد، لكن بعد تسميتها مصر. وكان ملكاً من أهلها، وله ثلاثة مآثر تاريخياً، ذكرها القرآن ذاته، وذلك كما يلى:

فأولاً: كان ملكاً صالحاً، ولو لم يكن نبياً، وبالتالى كانت له رؤية صالحة فى منامه مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(الرؤية الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)** (٣٥٢٦/٦٦١). وكانت رؤية صالحة وتاريخية، فلا تتعلق فقط بدولته، إنما تتعلق أيضاً بأهلها خاصة، بل تتعلق حتى بقوتهم وعلى مدى سبع سنوات قادمة بوجه أخص.

وهى رؤية سبع بقرات وسبع سنبلات، مصداقاً لقوله تعالى على لسانه: ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ**﴾ (٤٣/يوسف). وكان التمييز بين الرؤية وبين أضغاث الأحلام يتجاوز مُدركات هذا الملأ، وبالتالى لم يعرف حتى أنها رؤية صالحة، مصداقاً لقوله تعالى على لسانهم: ﴿ **قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ**﴾ (٤٤/يوسف).

ولما عُرضت هذه الرؤية على يوسف فى سجنه وقتذاك، لم يفته أنها رؤية حسنة، وتنبئ بمجاعة قادمة، ولابد من مواجهتها عملياً، مصداقاً لقوله تعلى على لسانه: ﴿**قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ. ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ**﴾ (٤٧-٤٩/يوسف). والرؤية إذن تتعلق بالأمن القومى آنذاك، ولا يقدر على مواجهتها إلا هذا الذى قام بتأويلها، وبالتالى طلب الملك مجيئة مصداقاً لقوله تعالى على لسانه: ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ**﴾ (٥٠/يوسف).

وثانياً: شهد هذا الملك أول وأقدم وأضخم «واقعة» تحرش نسائى تاريخياً. إذ بدأت كواقعة تحرش من جانب امرأة واحدة، مصداقاً لقوله تعالى على لسان النسوة بشأنها: ﴿**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ**﴾ (٣٠/يوسف).

ولم تلبث أن أصبحت واقعة تحرش نسوة المدينة بأسرها، مصداقاً لقوله تعالى على لسان الملك إليهن: ﴿**قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ**﴾ (٥١/يوسف). بل هى حتى واقعة تحرش هذه المرأة وهؤلاء النسوة بفتى واحد، ومن فتيان امرأة العزيز، وليس من أهل المدينة ولا من أهل البلد، هو يوسف الذى لم يكن مصرياً إنما كان إسرائيلياً.

وبهذه الواقعة التى ذكرها القرآن، لم تعد للنسوة فى مصر أن تدعى يوماً ملائكيتها، ولا مسئولية الرجال عن التحرش بهن، لكون هذا الادعاء مجرد كذبة مزدوجة وقديمة زمانياً وراسخة تاريخياً منذ عصر هذا الملك، مصداقاً لقوله تعالى على لسان المرأة المتحرشة: ﴿**قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ**

بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٥/يوسف)، وقوله تعالى على لسانها أمام القضاء بعدئذ: **﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾** (٥١/يوسف).

وثالثاً: شهد عصر هذا الملك وجود نظام السجن ونظام التحقيق الجنائى ونظام الخبرة القضائية فى مصر. ١- هذا السجن استوعب يوسف وغيره وقتئذ، مصداقاً لقوله تعالى: **﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ . وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ﴾** (٣٥و٣٦/يوسف. ٢- وهذا التحقيق تتولاه الشرطة ويترأسها عزيز مصر، ويتم التحقيق فى المواجهة بين الجانى والمجنى عليه ولو كانت زوجة العزيز مصداقاً لقوله تعالى على لسانيهما: **﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾** (٢٥و٢٦/يوسف).

٣- وهذه الخبرة العلمية القضائية يباشرها مصرى، ولو لم يكن الجانى مصرياً، مصداقاً لقوله تعالى: **﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ. وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ﴾** (٢٦و٢٧/يوسف).

٤- بل حتى نشأ مبدأ التقاضى على درجتين لأول مرة تاريخياً فى مصر، وعلى يد هذا الملك نفسه، وكان يوسف أول من استأنف أمام هذا الملك حكماً جنائياً بسجنه، وانتهى الاستئناف إلى تبرئته ورد اعتباره إليه، رغم أنه كان غائباً عن المحكمة، وبالتالى بدء يوسف عمله لدى هذا الملك مصداقاً لقوله تعالى على لسانه: **﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾** (٥٤/يوسف).

٧٠- الملك يوسف بن إسرائيل :

تولى يوسف شئون الخزانة فى الدولة، بناء على طلبه إلى ملكها وقتذاك، مصداقاً لقوله تعالى على لسانه: ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ (٥٥/يوسف). ولما توفى هذا الملك تولى يوسف بعده شئون الدولة فى مصر، رغم أنه ليس من أهلها (٢٦/يوسف)، إنما هو ابن يعقوب أى ابن إسرائيل. لكن أتاه الله الملك عليها مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ ...**﴾ (٥٦/يوسف). وترتب على ذلك ما يلى:

أولاً: كان يوسف أول ملك حد حدود مصر الجغرافية من شمالها إلى جنوبها، ومن مشارقها إلى مغاربها المباركة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (٥٦/يوسف).

ولم تزل هذه الحدود قائمة إلى الآن، وتضم مثلث حلايب وشلاتين، ولا تضم جزيرتى تيران وصنافير، وذلك مُقنن حتى فى «قصة الخضر» بسورة الكهف فى الآيات ٦٠-٨٢ منها وعلى نحو ما نعرضه من بعد.

وثانياً: أصبح «دين يوسف» الملك هو دين الدولة، وحتى دين أخيه الشقيق بعد أن أخذه إليه غداة إتيان أخوته به معهم إلى مصر، وبزعم وجود صواع الملك برحله، مصداقاً لقوله تعالى:﴿**قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ**﴾ (٧٢/يوسف). وقوله تعالى: ﴿**فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاء أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاء أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾ (٧٦/يوسف).

٧١- **ثالثاً:** ويوسف هو أول ملك إسرائيلى على مصر واستقدم إليها والده يعقوب وإخوته وكافة أهلهم من مدين، مصداقاً لقوله تعالى على لسانه: ﴿**اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ (٩٣/يوسف).

ثم استقبلهم بنفسه حال حضورهم ضيوفاً على مصر، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ. وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ ...**﴾ (٩٩و١٠٠/يوسف).

وقد ظل يعقوب فى مصر حتى توفى بها موصياً بنيه بمن يعبدوه وكيف يعبدوه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ (١٣٣/البقرة).

كما ظل يوسف الملك على يقين بأن وجود بنى إسرائيل فى مصر، هو وجود مؤقت زمنياً، ومآلهم حتماً إلى الخروج منها نهائياً، والعودة إلى بلدهم التى كتب الله لهم فى أدنى الأرض، وبالتالى أوصاهم بدوره بأخذ عظامه معهم حال خروجهم منها بعد وفاته، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(إن موسى لما سار ببنى إسرائيل من مصر، ضلوا الطريق. فقال: ما هذا؟ فقال علماؤهم نحن نحدثك. إن يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقاً من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا. قال: فمن يعلم موضع قبره؟. قالوا: ما تدرى أين قبر يوسف، إلا عجوزاً من بنى إسرائيل.**

(فبعث إليها، فأتته. فقال: دلونى على قبر يوسف، قال: لا والله، لا أفعل، حتى تعطينى حكمى. قال: وما حكمك؟. قالت: أكون معك فى الجنة. فكره أن يعطيها ذلك. فأوحى الله إليه أن أعطها حكمها. فانطلقت بهم إلى بحيرة، موضع مستنقع ماء، فقالت: انضبوا هذا الماء. فأنضبوا. قالت: احفروا، واستخرجوا عظام يوسف. فلما أقلوها إلى الأرض، إذ الطريق مثل ضوء النهار)([1]).

٧٢- الملك فرعون :

أكثر الناس جهلاً بفرعون الملك، وهم كثيرون للغاية، يعتبرونه ملكاً مصرياً وليس مجرد ملك إسرائيلى على مصر. ويعتبرونه أكثر من ملك واحد فى تاريخ مصر، وليس ملكاً واحداً. ولا يعتبرونه حتى آخر ملك إسرائيلى فى تاريخ مصر، رغم أن قصته واضحة للغاية فى القرآن، وذلك كما يلى:

فأولاً: حتى الملك الإسرائيلى على مصر هو خلق من خلق الله، أى خلق قائم بذاته، وله إذن نشأتان متعاقبتان زمانياً ومتباعدتان تاريخياً (٤٩/الذاريات)، ويجب التمييز بين نشأتيه نوعياً وتاريخياً (٢٠/العنكبوت)، كما يلى: ١- ففى نشأته الأولى تاريخياً هو يوسف بن يعقوب أى ابن إسرائيل وذلك على نحو ما تقدم بيانه. ٢- وفى نشأته الآخرة تاريخياً، هو فرعون الملك.

وكان فرعون الملك متزوجاً قبل ميلاد موسى بربع قرن على الأقل، أى شهد موسى وليداً يتربى لديهم فى القصر حتى قتل واحداً منهم ثم هاجر عشر سنين إلى مدين قبل بعثته حال عودته إلى مصر ... إلخ،

([1]) الألبانى: السلسلة الصحيحة – رقم ٣١٣.

مصداقاً لقوله تعالى على لسان هذا الملك إلى موسى: ﴿**قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ. وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ (١٨و ١٩/الشعراء).

لذا حتى لفظ فرعون لا يختلف عن ألفاظ قارون وهارون وابن نون، من حيث اللغة، ولا من حيث الوزن، ولا من حيث القافية. فكلها أسماء مواليد فى مصر، ولو لم يكونوا مصريين، إنما كانوا من مواليد بنى إسرائيل الموجودين فى مصر آنذاك، حتى فرعون الذى أصبح بعدئذ ملكاً على مصر، والذى لم يكن مصرياً على الإطلاق، ولم يكن – حتى – إسرائيلياً مؤمناً على الأقل كهارون وابن نون، إنما كان إسرائيلياً كافراً كقارون على الأقل، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ**﴾ (٧٦/القصص).

٧٣- **وثانياً**: لم يلبث بنو إسرائيل فى مصر أن تشيعوا إلى شيعتين، جنباً إلى جنب المصريين كقوم واحد على استقلال. أما الشيعتان فهما: قوم فرعون الكافر وقوم موسى حتى من قبل ميلاده. وكانا يتنازعان فى الخفاء حول ثلاث مسائل كما يلى:

١- وجود الرب المعبود منذ القرون الأولى، وتلك المسألة كانت موضوع الحوار بين فرعون وموسى بعدئذ مصداقاً لقوله تعالى بشأن هذا الحوار: ﴿**قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى. قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى. قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى. قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى**﴾ (٤٩-٥٢/طه).

٢- مآل «المُلك» بعد فرعون، الذى لم ينجب إبناً ولا إبنة على الأقل، مصداقاً لقوله تعالى على لسان زوجته بشأن الطفل موسى وقتذاك:

﴿**وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ (٩/القصص).

٣- مآل «أرض مصر» بعد فرعون، الذى لم يكن يؤمن بما كان يؤمن به يوسف من قبل وأصبح موسى يؤمن به من بعد، إنما كان فرعون وقومه يعتقدون أن وجودهم بمصر ليس مؤقتاً، إنما دائم، بل هى حتى أرضهم وحدهم دون المصريين، مصداقاً لقوله تعالى على لسانه: ﴿**قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ**﴾ (٣٤و٣٥/الشعراء). وقوله تعالى على لسان ملئه: ﴿**قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ**﴾ (١٠٩/١١٠/الأعراف).

وقوله تعالى على لسان قومه: ﴿**قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى**﴾ (٦٣/طه).

لذا بعد غرق فرعون وجنوده، لم يخرج بنو إسرائيل نهائياً من مصر فحسب، إنما أيضاً أورثها الله للمصريين وحدهم، أى أورثهم أرضها بحدودها الجغرافية القائمة منذ عصر يوسف وإلى مالا نهاية، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا**﴾ (١٣٧/الأعراف).

٧٤- **ثالثاً:** لم يكن فرعون أكثر من ملك واحد على مصر، سواء كان «فرعون ملك أرض الأوتاد» مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ**﴾ (١٢/ص~) وقوله تعالى: ﴿**وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ**﴾ (١٠/الفجر). أو كان «فرعون ملك مصر» مصداقاً لقوله تعالى على لسانه: ﴿**وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ...**﴾ (٥١/الزخرف).

لذا بغرق هذا الملك فرعون، مات أول وآخر «فرعون ملك» شهدته مصر. فلا كان قبله ولا كان بعده أى فرعون ملك آخر، أو ملوك فراعنة على الإطلاق. وذلك بصرف النظر عن الكلام الفارغ الموجود فى مذكرات المؤرخين، الذين يستهويهم تلوين التاريخ المصرى حجراً وبشراً باللون الفرعونى أو باللون الإسرائيلى، دون وعى بما يترتب على كلامهم من أثر سلبى على الحجر والبشر فى مصر:

١- فيزعم الإسرائيليون مؤخراً بأنهم بناة الأهرامات، سواء الهرم الذى بناه قوم أصحاب الكهف قبل طوفان نوح، أو الهرمان اللذان أقامهما قوم إلياس غداة الطوفان، وللبعل الذى كانوا يدعونه من دون الله، وذلك على نحو ما تقدم بيانه، وقبل وجود بنى إسرائيل بآلاف السنين.

٢- بينما لم يعرف أحد من المصريين بعد أن «لفظ القبط» من ألفاظ اللغة العربية الجامعة فى قول خاتم الرسل: **(إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيراً ...)**(٦٩٨/١٨١)([1]). وهو يعدل بعدئذ لفظ «أهل مصر» باللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعدها بآلاف السنين مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(إنكم ستفتحون مصر ... فإذا فتحتموها، فاستوصوا بأهلها خيراً ...)** (٢٣٠٧/٤٥٧).

٧٥- الملك المصرى بعد فرعون :

كما كان الملك مصرياً قبل يوسف أصبح الملك مصرياً غداة غرق فرعون، ولو أن هذا الملك الأخير لم يزل يثير تساؤلاً: ما جدوى ما فعله الخضر بسفينة المساكين، إذا كان هذا الملك لا ينوى أخذ سفينتهم خاصة، ولا أخذ سفن المساكين وحدهم، إنما كان يأخذ «كل» سفينة

([1]) وانظر أيضاً رسالة الرسول إلى المقوقس «عظيم القبط».

غصباً، ولو لم تكن سفينة مساكين مصداقاً لقوله تعالى على لسان الخضر: ﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**﴾ (٧٩/الكهف)؟

إذن الخضر لم يقصد خرق سفينتهم خاصة بسبب مسكنتهم، وبالتالى فلا هو كان يقصد دفع الضرر قدر الإمكان عن سفينتهم خاصة، ولا كان يقصد دفع الضرر عنهم شخصياً بضرر أقل منه، ولا كان يقصد الاستهانة بهم وبسفينتهم. إنما كان يقصد أن حالة سفينتهم كحالتهم من حيث المسكنة، مما يجعلها السفينة الأمثل كى تكون محلاً لبيان عملى من جانبه، لإعلام أصحاب السفن كافة بكيفية توقى ضرر قرار الملك الغاصب، وذلك بوسيلة اقتصادية للغاية تتمثل فى مجرد خرق السفينة.

فالملك جاء غداة غرق فرعون وجنده، ويأخذ السفن بطواقمها مجاناً على الأقل، كى تعاون الدولة المشغولة بالبحث عن أبدان الغرقى مع فرعون، الذى نجا الله بدنه كآية. ولم يراع هذا الملك، أن الأحياء لا يستون مع الأموات، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ**﴾ (٢٢/فاطر). فالحى أبقى من الميت، والأحياء أولى بالحياة من الأموات خاصة الأموات الذين سيلفظهم البحر تلقائياً ولو لم يبحث أحد عن أبدانهم. وبذا فأصحاب السفن أولى بعملها وعملهم، ولو لم يكونوا مساكين هم وسفنهم، أو كانوا – من باب أولى – مساكين هم وسفنهم.

وإذا كان الملك لم يفطن إلى هذه الحقيقية، فلا أقل من إعلام أصحاب السفن بدرس عملى، عن كيفية مواجهة المنكر الواقع عليهم وعلى سفنهم من قرار هذا الملك الغاصب. وهذا الدرس العملى هو الأصل التاريخى للكيفية التى يجرى بها التغيير المادى باليد، للمنكر الظاهر للعيان، حتى لو كان فى شكل قرار عام، أو حتى قرار ملكى،

مصداقاً لقول خاتم الرسل بعدئذ: **(من رأى منكم مُنكراً فليغيره بيده. فإن لم يستطع فبلسانه. فإن لم يستطع فبقلبه. وذلك أضعف الإيمان)** (٦٢٥٠/١٠٧٣).

لذا لم يفت على «أبى بكر» وهو الخليفة بعد ألفى سنة، ما فات على هذا الملك زمن الخضر، من أولوية الأحياء على الأموات، ولو حتى بشأن أكفان الموتى، وبالتالى لما حضرته شخصياً الوفاة، قال: «انظروا إلى ملاءتى هاتين. فإذا مت، فإغسلوهما وكفنونى فيهما، فإن الحى أحوج إلى الجديد من الميت»([1]).

٧٦- اقتباس النظام الملكى من مصر :

الشعوب المجاورة لمصر، بدأت فى تحولها عن «النظام القبلى» منذ نهاية القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وفى اقتباس «النظام الملكى» من مصر آنذاك. سواء فى جوار مصر بأدنى الأرض، أو فى الأحقاف باللغة العربية الجامعة وتعدل بعدئذ سبأ بالعربية الخاتمة، أو حتى فى بابل بعدئذ:

فأولاً: تأهب بنو إسرائيل للعودة إلى الأرض المقدسة التى كتبها الله لهم (٢١و٢٢/المائدة)، وذلك بعد سنوات التيه وموت عمران وهارون وموسى. وطلبوا من نبيهم آنذاك يوشع ابن نون نظاماً ملكياً على غرار ما عهدوه فى مصر، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ** ...﴾ (٢٤٦/البقرة).

([1]) محمود السعيد الطنطاوى: من فضائل العشرة المبشرين بالجنة – ٢٠٠٩ – إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – ص٤٨.

وكان طالوت أول ملك ولاه الله عليهم، مصداقاً لقوله تعالى على لسان نبيهم: ﴿**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء**﴾ (٢٤٧/البقرة).

وقاد طالوت حرباً ضد جالوت آنذاك، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ ...**﴾ (٢٥٠و ٢٥١/البقرة).

لكن قُتل طالوت، وكذا جالوت الذى قتل على يد داود، فآتاه الله الملك على بنى إسرائيل بعدئذ، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء**﴾ (٢٥١/البقرة). بل حتى أوتى داود «القرآن» فى نشأته الأولى تاريخياً، أى الزبور الذى نزل مصحوباً بطريقة قراءة خاصة به، وبالتالى كان قرآناً بالمعنى الدقيق، ولو لم يكن أكثر من قرآن مخفف للغاية وخاصاً ببنى إسرائيل وحدهم، مصداقاً لقول خاتم الرسل بشأن هذا الزبور: **(خفف على داود القرآن. فكان يأمر بدوابه فتسرج. فيقرأ القرآن من قبل أن تسرج دوابه)** (٣٢٣١/٦١٤).

ولا محل بعدئذ لإنكار أن القرآن الذى نزل على خاتم الرسل، هو القرآن فى نشأته الآخرة تاريخياً، أى كتاب إلهى نزل مصحوباً بطريقة قراءة خاصة به، ولو أنه القرآن العظيم والمجيد والحكيم .. إلخ، فضلاً عن كونه للناس كافة.

ولما مات داود، حل إبنه سليمان محله فى الملك، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ**

وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (١٦/النمل). وقول خاتم الرسل: **(كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبى خلفه نبى، وإنه لا نبى بعدى. وسيكون خلفاء، فيكثرون ...)** (٤٤٦٦/٨٢٤).

٧٧- **وثانياً:** كما اقتبست سبأ النظام الملكى من مصر، ولو لم تتول الملك فى النصف الثانى من القرن العاشر قبل الميلاد أى زمن سليمان، إلا امرأة، مصداقاً لقوله تعالى بشأن ما جاء به الهدهد من نبأ عنها: **﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ. إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ. وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾** (٢٢-٢٤/النمل).

وقول خاتم الرسل بشأن مآل الرجال الذين يولون امرأة أمرهم: **(لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة)** (٥٢٢٥/٩٢٨). وذلك بمناسبة تلك المرأة التى تولت الملك لأول مرة تاريخياً، أى لم تسبقها ولم تعاصرها، أى امرأة أخرى. وقد لجأت هذه المرأة إلى شراء سليمان بهدية حال إرساله إليها يدعوها إلى الإسلام، وقد رفض هديتها، فأبطل حيلتها، وكسر شوكتها وثقتها فى جيش تقوده هى، وبالتالى امتثلت وأسلمت وتجردت من عرشها.

٧٨- **ثالثاً:** وأيضاً اقتبست «بابل» (١٠٢/البقرة) النظام الملكى من مصر، لكن بعد زمن سليمان. وأصبح بختنصر ملكها فى منتصف الألف الأول قبل الميلاد، فأغار على بيت المقدس وهزم بنى إسرائيل، وأسر منهم من أسر وتفرق الباقون فى البلاد المجاورة والبعيدة، ولم تكن أثينا واسبرطة وروما شيئاً مذكوراً حتى ذاك الحين، وذلك بصرف النظر عن

الكلام الفارغ الموجود فى مذكرات المؤرخين الإغريق والرومان، الذين يستهويهم اصطناع «تاريخ» لم يكن موجوداً على الإطلاق([1]).

لذا حتى «إسم» الألواح الإثنى عشر فى روما القديمة بعد عصر موسى بألف سنة على الأقل، كان مقتبساً من «إسم» ألواح موسى مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً**﴾ (١٤٥/الأعراف). بل حتى «إسم» ألواح حمورابى قبلها تاريخياً وبعد عصر إبراهيم، كان مقتبساً من «إسم» ألواح إبراهيم، التى كانت صحفاً أولى كصحف موسى بعدئذ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾ (١٨ و١٩/الأعلى).

إذن تلك الألواح «الوضعية» لم تنشأ من فراغ، ولم تنشأ على استقلال عن القانون الإلهى، إنما العكس هو الصحيح بإطلاق، حتى بعد نزول القرآن الذى أجاز وجود هذا المنسك الوضعى على ألا يخالف السنة على الأقل، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ**﴾ (٦٧/الحج).

وبذا، فأى كلام بعدئذ فى مصر عن هذا المنسك الوضعى على استقلال عن القانون الإلهى، كالكلام عن القانون الإلهى على استقلال عن القانون الوضعى، أى كلاهما كلام يخالف – مبدئياً – مفهوم القانون بمعناه التأويلى فى القرآن. فهذا المفهوم يشمل القرآن ولائحته التنفيذية أى السنة، ولائحتهما الفرعية أى المنسك الوضعى، مصداقاً لقوله تعالى فى

([1]) انظر بالتفصيل بول هازار Pual. Hazard: أزمة الضمير الأوروبى – بالفرنسية – ترجمة نجيب المستكاوى وجودت عثمان – ط٢ – ١٩٩٩ القاهرة – ص ٧٩ و ص٨٢ على التوالى.

هذا الشأن:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ... إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ (٥٩/النساء).

وحتى وجود كليات الحقوق وكليات الشريعة فى مصر، إنما يُجسد هذا الانفصال المذكور آنفاً، سواء الانفصال بين القانون الوضعى والقانون الإلهى، أو الانفصال عن مفهوم القانون تأويلياً فى القرآن، وذلك خطر جسيم على «الشرعنة» أو «الشرعية» فى الحياة المصرية، ويثير الاضطراب حول مفهوم القانون ذاته فى مصر منذ مجئ القرآن والسنة إليها عام ٢٠هـ/٦٤٢م، مما دعا البعض مؤخراً إلى أن يستبدل بفكرة مفهوم القانون، فكرة الفقه، التى هى فكرة غامضة ومبهمة وهلامية.

الفرع الثالث

الحدود الجغرافية

٧٩- يوسف نبى وملك إسرائيلى :

سبق بيان أن «الملك الإسرائيلى» على مصر هو خلق من خلق الله، وله إذن نشأتان تاريخياً (٤٩/الذاريات)، ويجب التمييز بين نشأتيه (٢٠/العنكبوت)، وكانا يوسف وفرعون على التوالى.

وكذا «النبى الإسرائيلى» فى مصر هو خلق من خلق الله، أى خلق قائم بذاته، وله إذن نشأتان متعاقبتان زمانياً ومتباعدتان تاريخياً (٤٩/الذاريات)، ويجب التمييز بين نشأتيه (٢٠/العنكبوت)، وذلك كما يلى:

فأولاً: هذا النبى فى نشأته الأولى تاريخياً، هو يوسف ابن يعقوب، والذى أتى مصر حدثاً ورقيقاً مباعاً بثمن بخس، وتربى فيها فى بيت

العزيز، حتى بُعث نبياً وهو فى سن الأربعين مصداقاً لقوله تعالى بشأنه: ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ (٢٢/يوسف). وكان يدعو إلى التوحيد والإسلام، حتى وهو فى سجنه، مصداقاً لقوله تعالى على لسانه: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ (٣٩و٤٠/يوسف).

وثانياً: هذا النبى فى نشأته الآخرة تاريخياً، هو موسى ابن عمران، والذى وُلد بمشارق مصر، وظل بها حتى قتل واحداً إسرائيلياً أيضاً، ثم هاجر منها أعزباً إلى مدين التى تزوج فيها بإحدى ابنتى الشيخ الكبير، الذى تبناه منذ وصوله. وعاد إلى مصر بعد عشر سنين، كان يعمل فيها لدى هذا الشيخ الكبير. لكن فى طريق عودته بُعث نبياً وهو فى سن الأربعين، مصداقاً لقوله تعالى بشأنه: ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ (١٤/القصص). وجعل الله أخاه هارون وزيراً يعاونه.

ولم يكن بنو إسرائيل يتوقعون أن يبعث الله أحداً بعد موت يوسف، مصداقاً لقوله تعالى على لسان من آمن:﴿ **وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ**﴾ (٣٤/غافر).

٨٠- يوسف يُوحد مصر ويحدها جغرافياً:

أول ملك وحد مصر داخل حدودها الجغرافية، هو الملك يوسف النبى، الذى وحدها وحد حدودها لأول مرة تاريخياً، أى لم يسبقه إلى ذلك أى ملك قبله. وهو لم يوحدها ويحدد حدودها جغرافياً، إلا بصفته ملكاً عليها، ونبياً فيها. ولم يوحدها من شمالها إلى جنوبها، ومن مشارقها إلى مغاربها المباركة، إلا لكى يتبوأ منها حيث يشاء، مصداقاً لقوله تعالى بشأنه: ﴿**وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ**﴾ (٥٦/يوسف).

ولم تزل هذه الوحدة الجغرافية قائمة بذاتها، أى لها استقلالها عن نظيراتها بإطلاق، واستقلالها داخل حدودها الجغرافية. وهى قائمة منذ زمن يوسف وإلى الآن على الأقل، بل حتى إلا مالا نهاية.

فحدودها ومواقعها الجغرافية مُقننة فى القرآن، أى مُقننة بسورة الكهف خاصة، وفى قصة الخضر بوجه أخص. وهو الذى علم موسى علم الرشد (٦٦/الكهف)، وعلم التأويل بالحق (٧٨و٨٢/الكهف). وعلمه أيضاً تلك الحدود المصرية وذلك بمناسبة تأهب موسى وبنو إسرائيل لإقامة دولتهم بأدنى الأرض إلى جوار دولة مصر وقتذاك.

٨١- حدودها الجنوبية :

اقتصرت قصة الخضر وموسى من شمالها إلى جنوبها على ٢٣ آية فقط، وذلك العدد مقصود لذاته، بدليل أن ما فعله الغلام المصرى وأفضى إلى قتله، لم يرد فى نفس القصة لكيلا تزيد عدد آياتها عن ٢٣ آية، ولو بآية واحدة. إنما وردت قصة هذا الغلام على استقلال، وفى آية

واحدة، وفى سورة أخرى، هى الآية رقم (١٧) من سورة الأحقاف وذلك على نحو ما تقدم بيانه.

إذن اليابس المصرى ممتد من شمال مصر إلى جنوبها، الذى يقف جنوباً عند خط عرض ٢٣ بالتمام، أى لا يتجاوز مطلقاً هذا الخط إلى ما بعده، ولو بدرجة واحدة، ولا يقل مطلقاً عن هذا الخط إلى ما فوقه، ولو بدرجة واحدة.

وبهذا يطال اليابس المصرى حتى مثلث حلايب وشلاتين، وذلك بصرف النظر عن أى مزاعم للسودانيين حالياً، أو مستنداتهم بشأن تبعية هذا المثلث للسودان، بينما هو يتبع اليابس المصرى منذ آلاف السنين حتى الآن وإلى مالا نهاية.

فمزاعمهم ومستنداتهم المستجدة لا تصمد مطلقاً أمام حدود مصر جنوباً منذ عصر يوسف على الأقل، وفى القرآن ذاته. خاصة أن حدود مصر جنوباً كانت معروفة للخضر، ولو لم يكن الخضر من جنوبها، إنما كان الخضر سيناوياً من شمال مصر. بل حتى كانت معروفة له فى منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد. أى زمن فرعون وموسى، رغم أن هذه الحدود سابقة تاريخياً على فرعون وموسى، أى هى محددة منذ عصر يوسف قبل موسى وفرعون بقرون.

وبدهى أن السودان كمصر، تؤمن بالقرآن، وتؤمن بأن هذا القرآن لم يُفرط فى بيان أى شئ على الإطلاق (٣٨/الأنعام)، ونزل تبياناً لكل شئ بإطلاق (٨٩/النحل)، وبالتالى لم يُفرط هذا القرآن فى بيان حدود مصر الجنوبية.

٨٢- آخر نقاط اليابس السيناوى :

أطال القرآن كثيراً فى بيان تفاصيل «بداية» التقاء موسى وفتاه بالخضر فى سيناء، وذلك مقصود لذاته، خاصة أن هذا البيان وحده قد استغرق ست آيات قرآنية من إجمالى آيات القصة. فقد استغرق الآيات من ٦٠-٦٥ من سورة الكهف، أى استغرق وحده «ربع» آيات القصة إجمالاً فى القرآن، أى (٢٣ آية فى الكهف + ١ آية فى الأحقاف).

وهو مقصود، لأن بداية هذا الالتقاء كانت فى «آخر» نقطة من نقاط اليابس السيناوى المصرى على البحر الأحمر، وبالتالى فما بعد هذه النقطة الأخيرة جهة البحر الأحمر لا يدخل مطلقاً فى هذا اليابس، أى أن ما بعد هذه النقطة هو خارج بطبعه عن اليابس المصرى خاصة لو كان ما بعدها موجوداً فى البحر الأحمر ذاته كتيران وصنافير.

ولذا لم يكن للقضاء الإدارى المصرى بدرجتيه(١) أن يحكم بتبعية الجزيرتين لليابس المصرى جغرافياً، وذلك لأسباب مبدئية لم يكن متوقعاً أن تفوت على أى قضاء فى مصر. **فأولاً:** طلب بيان تبعية الجزيرتين لمصر أو لغيرها من الدول، ليس طلباً قضائياً، ولو قُدم خطأ بإجراءات الدعوى القضائية. إنما هو فى حقيقته «طلب فتوى»، وبالتالى من الدعاوى الاستفهامية التى تخرج بطبعها عن اختصاص القضاء المصرى كافة، وبصرف النظر عن تعلق أو عدم تعلق هذه المسألة بالسيادة. ومن

---

(١) انظر حكم محكمة القضاء الإدارى (دائرة أولى) – جلسة ٢٠١٦/٦/٢١ – فى الدعويين ٤٣٧٠٩ و ٤٣٨٦٦ لسنة ٧٠ق. وكذا حكم المحكمة الإدارية العليا (دائرة أولى – فحص الطعون) – جلسة ٢٠١٧/١/١٦ – فى الطعن ٧٤٢٣٦ لسنة ٦٢ق.

ثم كان على القضاء الإدارى بدرجتيه أن يحكم بعدم جواز نظره لهذا الطلب الإفتائى موضوعياً، لأن المحاكم ليست أكاديميات بحيث تبت حتى فى المسائل الجغرافية.

وثانياً: تيران وصنافير ليست مجرد عقار، وبالتالى لا تخضعان لنظام حيازة العقارات، أى لا تخضعان لنظام دعاوى الحيازة بوضع اليد، خاصة أن الحيازة ليست سيادة، ولا السيادة مجرد حيازة بحيث تثبت بمظاهر خارجية.

وثالثاً: تيران وصنافير لم تكونا يوماً بمثابة «طرح بحر» ظهر فجأة مؤخراً، أى فى منتصف القرن الماضى، إنما هما موجودتان منذ آلاف السنين، وبالتالى ينبغى النظر فى تبعيتهما منذ آلاف السنين، وذلك فى القرآن الذى لم يُفرط فى بيان أى شئ على الإطلاق (٣٨/الأنعام)، ونزل تبياناً لكل شئ بإطلاق (٨٩/النحل).

وعلى أى حال، فالعجب العجاب «وقتذاك» لم يكن فى موقف القضاء الإدارى المصرى الذى كان موقفه إيجابياً ولو كان موقفاً خاطئاً، إنما كان فى موقف «الجامعة الأزهرية كافة» والتى كان موقفها من هذه المسألة موقفاً سلبياً للغاية، رغم أن المسألة بطبعها لا مرجع فيها إلا الرجوع إلى القرآن ذاته وذلك على نحو ما تقدم بيانه، ولو من باب سؤال موسى والخضر فيها باعتبارهما من «أهل الذكر» الذين يجب سؤالهم عما لا نعرفه من هذا الذكر الموجود بالقرآن (٧/الأنبياء).

بل لم يزل موقف هذه الجامعة الأزهرية سلبياً للغاية، حتى فى مسألة حدود مصر جنوباً، رغم أن تبعية مثلث حلايب وشلاتين توشك أن

تكون محلاً لنزاع جدى بين مصر والسودان، وكلتاهما تؤمن بالقرآن والسنة وتنزل على حكمهما فى هذه المسألة بدورها.

٨٣- عاصمة الدولة زمن فرعون :

هى «المدينة» التى بها قصر فرعون الملك، ومقر عمله. وهى إذن المدينة التى فيها قتل موسى واحداً من شيعة فرعون، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ...**﴾ (١٥/القصص).

ولم يكن القتيل مصرياً ولا القاتل مصرياً، لكنه صار خائفاً يترقب رد الفعل من عدوه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ**﴾ (١٨/القصص). ولم يلبث أن جاءه رجل ينصحه بالهجرة إلى خارج مصر، لأن ملأ فرعون يأتمرون به ليقتلوه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ. فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ**﴾ (٢٠و٢١/القصص).

وهى المدينة التى كان القتيل يقيم بها، هو وغلاماه، صاحبا الكنز الموجود تحت الجدار الذى أوشك أن ينهدم، فأقامه الخضر وحده لهما مصداقاً لقوله تعالى على لسانه: ﴿**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا**﴾ (٨٢/الكهف).

ورفض موسى معاونة الخضر فى إقامة الجدار، رداً على رفض أهل القرية أن يضيفوهما من قبل، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **فَانطَلَقَا حَتَّى**

إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ...﴾ (٧٧/الكهف). لكن لم يكن لموسى أى عذر فى رفضه، بينما كان أهل القرية معذورين فى رفضهم استضافتهما، لكونهم أهل القتيل الذى كان من هذه القرية أصلاً، ولو كان مقيماً بالمدينة، ويستحيل إذن أن يضيفوهما بعدئذ حتى لو طلبا الطعام صراحة، وحتى لو كان فيهما الخضر.

فضلاً عن أن القتيل كان صالحاً، سواء فى المدينة أو فى القرية، مصداقاً لقوله تعالى بشأنه: ﴿**وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا**﴾ (٨٢/الكهف). أى كان مؤمناً بيوسف عليه السلام، ولو كان من ملأ فرعون الكافر ظاهرياً، وكان مؤمناً قبل بعثة موسى بعشر سنين، ولو لم يعرف موسى ذلك، رغم أن موسى وشيعته كانوا مؤمنين بيوسف وقتذاك.

أما الذى كان من شيعة موسى، واستغاثه بالأمس محرضاً إياه على قتل هذا الرجل الصالح، ثم استصرخه فى اليوم التالى محرضاً إياه على قتل آخر، فلم يكن مؤمناً بيوسف إلا ظاهرياً، بينما فى حقيقته كان غوياً واضحاً، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ. فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ**﴾ (١٨و١٩/القصص).

٨٤- من ذى الكفل إلى موسى فى مصر:

على أى حال، لم يكن موسى أول نبى قتل نفساً بغير نفس، قبل بعثته، إنما هو آخرهما تاريخياً، بينما أولهما تاريخياً هو ذو الكفل أى طه

الذى لم يقبل الله قربانه فقتل شقيقه الأصغر منه يس بعد أن تقبل الله قربانه.

وكلاهما إذن قتل رجلاً صالحاً، مصداقاً لقوله تعالى على لسان يس عن نفسه: ﴿**قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ (٢٧/المائدة). وقوله تعالى عن قتيل موسى والد الغلامين: ﴿**وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا**﴾ (٨٢/الكهف).

بل حتى كلاهما قتل قتيله وكزاً باليد وحدها، أى ببسط قبضة يده فى جسد قتيله، مصداقاً لقوله تعالى على لسان يس رفضاً لهذه الطريقة: ﴿**لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾ (٢٨/المائدة). وقوله تعالى بشأن قتيل موسى: ﴿**فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ**﴾ (١٥/القصص). ولا محل بعدئذ للكلام عن شرعية الملاكمة باعتبارها مجرد رياضة أى لعب، ووسيلة تسلية للمشاهدين.

لذا، كلاهما سيتعلق قتيله برقبته يوم القيامة، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(يجئ المقتول بالقاتل يوم القيامة، ناصيته ورأسه بيده، وأوداجه تشخب دماً. فيقول: يارب، سل هذا فيما قتلنى؟. حتى يدنيه من العرش)** (٨٠٣١/١٣٣٧).

فضلاً عن أن فعلة موسى ستمنعه حتى من الاستشفاع للناس يوم القيامة، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، اصطفاك الله برسالاته وبتكليمه على الناس. إشفع لنا إلى ربك. ألا ترى ما نحن فيه؟. أ لا ترى ما قد بلغنا؟. فيقول لهم موسى: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله. وإنى قتلت نفساً لم أومر بقتلها. نفسى نفسى نفسى نفسى. إذهبوا إلى غيرى)** (١٤٤٦/٣٠٨).

كل ما هناك أن طه قتل قتيله فى عاصمة الأرض أى فى بكة وقتذاك، وحال حياة آدم. بينما قتل موسى قتيله فى عاصمة مصر زمن فرعون، أى فى منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

وهذه العاصمة الأخيرة لم تكن قرية وقتذاك، إنما كانت مدينة، ولو كانت لها أبواب مُتعددة منذ عصر يوسف، مصداقاً لقوله تعالى على لسان يعقوب: ﴿**وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ**﴾ (٦٧/يوسف).

بل هى حتى لم تكن وحدها المدينة فى مصر، التى كانت بها «المدائن» زمن فرعون، مصداقاً لقوله تعالى على لسان ملئه: ﴿**قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ. يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ**﴾ (١١١و١١٢/الأعراف). وكذا قوله تعالى: ﴿**قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ**﴾ (٢٦و٣٧/الشعراء).

٨٥- خاتمة:

لا ريب أن ما بين عصر إدريس وذى الكفل فى مشارق أرض الأوتاد قبل طوفان نوح، حتى عصر موسى وهارون فى مشارق مصر فى منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد، آلاف السنين. وهى زاخرة بالأحداث التاريخية والمواقع الجغرافية، التى تحتاجها دور التعليم المصرية بوجه خاص، أى تحتاج إلى معرفتها مباشرة من القرآن والسنة وذلك على نحو ما تقدم بيانه، وأكثر من حاجتها إلى صنوف التاريخ المتداولة فيها حالياً، بآلاف المرات.

خاصة أن على هذه الدور التعليمية أن تكسر «حالة» تهيب المصريين من التعامل مباشرة مع القرآن والسنة، أى «ظاهرة » إحجامهم عن التفكر والتدبر والتعقل فيهما ووجها لوجه، وعلى اعتبار أن هذا القرآن نازل لكل واحد منهم على استقلال وكما هو نازل لهم كافة.

المطلب الرابع
رجال حول موسى

تنويه:

قصة مصر جزء من قصة «العالم»، الذى حذره القرآن والسنة من «الأحزاب». فخصها القرآن بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها، هى السورة رقم (٣٣)، أى «سورة الأحزاب». ثم نهى عنها إجمالاً وتفصيلاً مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ (٣١و ٣٢/الروم). وكذا السنة مصداقاً لقول خاتم الرسل: (**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ... وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ... والذى نفس محمد بيده، لتفترقن أمتى على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة فى الجنة، واثنتان وسبعون فى النار**) (١٠٨٢/٢٤٥).

وهذا النهى ليس مُنصرفاً إلى وجودها فحسب، إنما مُنصرف أكثر إلى مناهجها ومدوناتها إجمالاً وتفصيلاً، حتى ما يُسمى تجوزاً فى مصر «منهج الأزهر» و «منهج أهل السنة والجماعة»، ولو كان مُقننا فى التشريع الوضعى، أى فى المادة ٣٢ مكرر/ب من القانون ١٩٦١/١٠٣ بشأن تنظيم الأزهر، وذلك بقولها: «يُشترط فيمن يُعين عضواً بهيئة كبار العلماء: ١- ... ٧- أن يكون ملتزماً بمنهج الأزهر علماً وسلوكاً. وهو منهج أهل السنة والجماعة، الذى تلقته الأمة بالقبول فى أصول الدين، وفى فروع الفقه بمذاهبه الأربعة».

فمبنى هذا النهى يتمثل فى أمرين: ١- ليس هناك أكثر من حزب واحد مشروع فى القرآن والسنة، هو «حزب الله» (٥٦/المائدة ٢٢/المجادلة). وما عداه من أحزاب هى «حزب الشيطان» (١٩/المجادلة). ٢- ولم ينزل القرآن إلا مصحوباً بنظامه اللغوى الثلاثى العربى (جوامع العربية)، ونظام قراءته خاصة (١٨/القيامة)، ونظام استذكاره بالأخص (١٧و ٢٢و ٣٢و ٤٠/القمر). وتلك النظم بمثابة «المنهج القرآنى»، الذى لم تزل غالبيته غامضة ومبهمة ومجهولة، رغم أنه «منهج حزب الله».

لذا صار هذا الحزب يشهد استخفافاً وتدليساً به على الناس، وذلك بإطلاق إسمه مؤخراً على «حزب شيعى» فى لبنان وفى العراق، وكذا إطلاقه على «حزب سلفى» فى مصر هو «حزب النور» لكون الله هو نور السماوات والأرض (٣٥/النور). وليرحم الله الناس من هذه الأحزاب وغيرها.

مقدمة المطلب

٨٦- جماعتا بنى إسرائيل :

لم يكن المصريون طرفاً فى «العداء» بين قوم فرعون وقوم موسى حتى من قبل ميلاده. ولو أن هذا العداء كان يفعل فرعون وتمخض عن ثلاث شيع فى مصر آنذاك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا**﴾ (٤/القصص). إذ كان فرعون يستخف بقومه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**﴾ (٥٤/الزخرف). وكان يترأس هذا القوم فرعون وقارون وهامان مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ**﴾ (٣٩/العنكبوت).

لكن موسى قابل جماعة أخرى عاونته فى أداء رسالته، حتى من قبل بعثته، أى منذ بداية هجرته من مصر إلى مدين. وكلهم من بنى إسرائيل، عدا الخضر معلمه المصرى فى سيناء بعد غرق فرعون، وبالتالى تتوزع محتويات المطلب الراهن على ما يلى:

الفرع الأول: الشيخ الكبير بمدين.

الفرع الثانى: النبى هارون.

الفرع الثالث: يوشع بن نون.

الفرع الرابع: الخضر السيناوى.

الفرع الأول
الشيخ الكبير

٨٧- دعوته موسى للقائه :

كانت مدين آنذاك لم تزل على حالها منذ رحل يعقوب وبنوه وأهلهم عنها إلى مصر بدعوة من ابنهم الملك يوسف، أى لم تزل «بدواً»

(١٠٠/يوسف)، أى أهلها مجرد قبائل تعمل بالرعى وتسقى هى والعابرين لها من آبارها، وبالتالى كانت بضاعتهم لم تزل مزجاة منذ تلك التى كان يحملها الأسباط إلى يوسف فى مصر مقابل القمح زمن المجاعة (٨٨/يوسف) ... وهكذا.

ولما قتل موسى نفساً بغير نفس فى المدينة بمصر بعدئذ، نصحه الناصح بالهجرة إلى خارج مصر، أى الهجرة إلى بلد آخر مجاور. فهاجر إلى مدين خاصة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ**﴾ (٢٢/القصص). وحيث يوجد ماء مدين بوجه أخص مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ**﴾ (٢٣/القصص). وهنا التقى بفتاتين شقيقتين تعيشان مع والدهما الشيخ الكبير الذى لم يرزق صبياً، وكانتا تنوبان عنه فى سقاية أغنامه. وهما لا تزاحمان الرعاء. فزاحم موسى عنهما، وسقى لهما وانتهى الأمر مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ. فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ**﴾ (٢٣و ٢٤/القصص).

ولما بلغ والدهما ما حدث معهما من هذا الغريب عن الديار، دعاه عن طريق إحداهما ليجزيه الأجر عما فعله على الأقل، والذى قد يكون فى حاجة إليه فى ظروف غربته. وجاءه موسى على الفور، وأسمع هذا الشيخ قصته مباشرة، فطمأنه إلى نجاته من القوم الظالمين فى مصر، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ (٢٥/القصص).

٨٨- من هذا الشيخ الكبير؟

هذا الشيخ كان موجوداً بمدين، لكنه لم يكن نبياً على الإطلاق، ولا هو إذن النبى شعيب، ولا كان موجوداً بمدين زمن النبى شعيب، إنما كان موجوداً بمدين بعد زمن النبى شعيب بقرون طويلة، وبقدر القرون بين عصر إسحق وبين عصر موسى.

فإسحق من ألفاظ العربية الجامعة التى كانت موجودة وحدها زمن إبراهيم حينما جاءته البشارة بهذا الغلام وإسمه (١١٢/الصافات، ٧١/هود)، لكنه يعدل بعدئذ لفظ شعيب بالعربية الخاتمة التى جاءت بعدها بآلاف السنين، وبالتالى فإسحق هو شعيب، وشعيب هو إسحاق، مثلما يعقوب هو إسرائيل، وإسرائيل هو يعقوب.

لذا يخلو القرآن من عمل قام به إسحق كنبى، رغم أنه قد بُعث نبياً بعد موت إبراهيم ولوط مباشرة. لأن كل أعماله وردت باسم شعيب فى القرآن، والذى لم يُبعث نبياً إلا بعد موت إبراهيم ولوط. بل حتى بُعث مكانهما أى بُعث فى مدين حيث كان إبراهيم موجوداً مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا**﴾ (٨٤/هود). كما بُعث فى نفس الوقت فى الأيكة التى كانت المؤتفكة حيث كان لوط موجوداً، مصداقاً لقوله تعالى:﴿ **كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ**﴾ (١٧٦و١٧٧/الشعراء).

بل حتى بُعث شعيب إليهما بعد عقاب قوم لوط بوقت قريب نسبياً، أى لم يكن بعيد زمنياً، مصداقاً لقوله تعالى على لسانه إليهما: ﴿**وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ**﴾ (٨٩/هود). وبهذا، فلا كان الشيخ الكبير هو إسحق أى

شعيب، ولا كان هو أو موسى موجودين فى مدين حتى زمن يعقوب أى إسرائيل، أو حتى زمن يوسف فى مصر على الأقل.

٨٩- مشكلة موسى لدى الشيخ:

بهذا وضع موسى لدى الشيخ الكبير مشكلته، التى لا تقتصر على مجرد تدبير عمل له لكى يقتات من ورائه، ولو اقترحت ذلك إحدى ابنتيه مصداقاً لقوله تعالى على لسانها: ﴿**قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ**﴾ (٢٦/القصص).

كما لم تعد مشكلة الشيخ تتمثل فى سقيا غنمه يومياً، إنما أصبحت أكبر من ذلك بكثير، وتتمثل فى: كيف يُدبر لهذا الغريب عن الديار مأوى يأوى إليه دوماً، وعملاً يقتات منه طويلاً، وزوجة يسكن إليها طيلة وجوده فى مدين، فضلاً عن رعى أغنامه وسقايتها يومياً، بدلاً من ابنتيه كى تتفرغان لحياتهما مُستقبلاً.

ومن باب الاقتصاد فى أفكار وإجراءات حل هذه المشكلة إجمالاً وتفصيلاً، اقترح الشيخ الكبير على ذاك الغريب الزواج من إحدى ابنتيه، ويؤدى مهرها عملاً مُقسطاً يوماً بيوم طيلة ثمان سنوات على الأقل وعشرة على الأكثر، وذلك من أجره المستحق عن عمله لدى هذا الشيخ كرب عمله وكرب عائلة انضم إليها هذا الغريب، مصداقاً لقوله تعالى على لسانه: ﴿**قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ (٢٧/القصص).

واختار موسى الزواج بالبنت الصغرى، وترك الأجل لظروفه بعدئذ، لكنه قضى العشر حجج كاملة، مصداقاً لقوله تعالى على لسانه: ﴿**قَالَ**

ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (٢٨/القصص). وقول خاتم الرسل: **(سألت جبريل أى الأجلين قضى موسى؟. قال: أكملهما وأتمهما)** (٣٥٩١/٦٧٢).

ولم يكن الحج إلى بيت المقدس يوماً، خاصة أنه كان مهدماً منذ طوفان نوح حتى أعاد سليمان بناء جدرانه المهدمة فى القرن العاشر قبل الميلاد. إنما كان الحج إلى البيت العتيق دائماً، أى منذ الحج الأصغر الذى أذن به إبراهيم فى الناس، وكان دورياً وسنوياً، فى رمضان، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(عمرة فى رمضان تعدل حجة)** (٤٠٩٧/٧٥٤). وقوله أيضاً: **(عمرة فى رمضان كحجة معى)** (٤٠٩٨/٧٥٤).

ومن ثم مكث موسى فى مدين عشر سنوات كاملة، ثم عاد بأهله، حيث بُعث حال وصوله إلى الواد المقدس طوى بسيناء مصداقاً لقوله تعالى: **﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى. وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾** (٤٠و٤١/طه).

٩٠- دور الشيخ بعد غرق فرعون :

لم يشهد الشيخ الكبير غرق فرعون، لكنه كان فى استقبال موسى وبنى إسرائيل فى سيناء، وبالتالى شهد رفضهم الدخول بعدئذ إلى مدين كأرض مقدسة كتبها الله لهم، بزعم وجود قوم جبارين بها، ومن ثم يستحيل عليهم دخولها حتى يخرج هؤلاء الجبارون منها (٢٠-٢٢/المائدة).

وعبثاً حاول الشيخان (حما موسى ووالد موسى) تشجيع بنى إسرائيل على دخول مدين، فرفضوا للمرة الثانية دخولها، مصداقاً لقوله تعالى: **﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ. قَالُواْ يَا**

مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ. قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٣-٢٥/المائدة).

فقضى الله عليهم بالتيه فى أرض سيناء أربعين سنة، مصداقاً لقوله تعالى: **﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾** (٢٦/المائدة). بل حتى لم ينته هذا الأجل، قبل انتهاء حياة الشيخين وهارون وموسى نفسه، أى ماتوا ودفنوا فى سيناء، ولو أن موسى وشقيقه ووالدهما من مواليد مشارق مصر، لكنهم ماتوا ودفنوا فى مغاربها المباركة، ودخل بنو إسرائيل بهذا عصر ما بعد موسى (٢٤٦/البقرة).

وعلى أى حال، لا موسى بدأ بعثته فى مدين، ولا أتمها فى الأرض المقدسة التى رفض قومه دخولها، ولا هو أول من هاجر من الأنبياء إلى تلك الأرض المباركة، إنما سبقه إبراهيم ولوط ولو لم يهاجرا إليها إلا بعد بعثتهما بينما هاجر موسى إليها قبل بعثته بعشر سنين.

الفرع الثانى
النبى هارون

٩١- شقيق موسى:

هارون وموسى شقيقان، ولم يكونا من أهل مصر، ولو كانا من مواليد مشارق مصر. فهما من مواليد بنى إسرائيل الموجودين بمصر آنذاك. وكان هارون هو الأخ الأكبر سناً من موسى الأخ الأصغر، وبالتالى لم يواجه مولده ما واجه مولد موسى بعدئذ، من خشية قتله على يد جنود فرعون وهامان مصداقاً لقوله تعالى: **﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾** (٨/القصص).

وكلاهما بُعث نبياً بعدئذ، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا. وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا. وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا**﴾ (٥١-٥٣/مريم). فكان دور هارون إذن هو معاونة موسى مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا**﴾ (٣٥/الفرقان).

٩٢- والدهما:

كان والدهما يزودهما الواحد تلو الآخر بالموعظة الحسنة، وذلك بما أوتيه من حكمة من لدن الله مباشرة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ**﴾ (١٢/لقمان). وقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ (١٣/لقمان).

وقوله تعالى على لسان لقمان: ﴿**يَا بُنَيَّ ... وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ (١٧/لقمان). وقول خاتم الرسل: **(رحم الله موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر)** (٦٥٨/٣٥٠٠).

ولذا كان لقمان هو الناصح لموسى بالخروج مهاجراً من مصر بعد أن قتل نفساً بغير نفس فى المدينة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ. فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ**﴾ (٢٠و٢١/القصص).

فلفظ عمران من ألفاظ اللغة العربية الجامعة، ويعدل بعدئذ لفظ لقمان باللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعدها بآلاف السنين. وقد خصه القرآن بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها، هى السورة رقم (٣١)، أى «سورة

لقمان» وذلك بعد أن خص أهله بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها هى السورة رقم (٣)، أى «سورة آل عمران».

وعلى أى حال، لم يكن عمران أو لقمان نبياً، إنما كان «أول» من آمن بنبوة ولديه موسى وهارون، وفور بعثتهما، وبالتالى راح يخطب فى قومه وقومهما حتى حال حياة فرعون، أى راح يعظ هذا القوم مصداقاً لقوله تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ. مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ. وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ. يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ. وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ. الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾** (٣٠-٣٥/غافر).

بل حتى راح عمران أو لقمان يخطب فى قوم فرعون باعتبارهم من بنى إسرائيل، أى راح يعظ هذا القوم على استقلال، مصداقاً لقوله تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ. يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ. مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ. وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ. تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ. لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ**

النَّارِ. فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٣٨-٤٤/غافر).

وهكذا لم يكن دور عمران أو لقمان يقل عن دور أحد من آله، فلا يقل عن دور زوجته منذ مولد موسى، ولا عن دور مريم ابنته وأخت موسى، ولا حتى عن دور موسى أو هارون بعد بعثتهما، سواء حال حياة فرعون، أو بعد غرقه وجنده ووجود موسى وقومه فى سيناء.

٩٣- أختهما مريم :

هارون وموسى شقيقا «مريم» باعتبارها أول «فتاة» سُميت بهذا الإسم تاريخياً. فلم تسبقها إليه أى فتاة أخرى، ولم يُسمها به إلا والدها، ولم يُسمها والدها به إلا بما اوتيه من ربه مباشرة من الحكمة، ومعرفة أن مريم هو إسم «خير ماء على وجه الأرض»، والذى كان إسمه من قبل «ماء كهيعص»، وأصبح إسمه بعدئذ «ماء زمزم» وذلك على نحو ما تقدم بيانه.

لذا خص القرآن هذا الماء بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها، هى السورة رقم (١٩)، أى «سورة مريم». كما خصه بموضوع آية قرآنية قائمة بذاتها، بل خصه حتى بموضوع الآية الأولى فى سورته، مصداقاً لقوله تعالى:﴿ **كَهَيَعص**﴾ (١/مريم). فهو ماء كهيعص بلغة الصاد العربية الفاتحة، ويعدل بعدئذ «ماء مريم» باللغة العربية الجامعة، والذى يعدل بعدئذ «ماء زمزم» باللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعدها بآلاف السنين وذلك على نحو ما تقدم بيانه.

إذن مريم فى عنوان سورتها بالقرآن، لا هى مريم أخت موسى وهارون فى مشارق مصر فى منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد،

ولا هى – من باب أولى – مريم أم المسيح عيسى بأدنى الأرض. ولكيلا تختلطان معاً بعدئذ، فإن القرآن يكنى الأولى بـ «أخت موسى» فحسب (١١/القصص، ٤٠/طه)، بينما يكنى الثانية بـ «أخت هارون» فحسب (٢٨/مريم) تلك التى سمتها أمها على إسم إبنة لقمان مصداقاً لقوله تعالى على لسانها: ﴿**وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ**﴾ (٣٦/آل عمران)، وقول خاتم الرسل: **(إنهم كانوا يُسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم)** (٢٤٤٢/٤٧٩).

ومؤدى ما تقدم أن مريم الأخيرة تاريخياً ووالدها وأمها وابنها المسيح عيسى، ليسوا من «آل موسى»، إنما هم من «آل هارون»، وكلاهما من «آل عمران» الذين هم من «آل يعقوب»، الذين هم من «آل إبراهيم» على أى الأحوال.

٩٤- بعثة هارون :

لم يُبعث هارون نبياً إلا بناء على طلب موسى، الذى لم يطلب من ربه ذلك الطلب، إلا لسببين من جانبه: **أولاً**: الحاجة إلى رسول آخر يخلف موسى حال قتله المحتمل من وجهين: إما لجرمه القديم مصداقاً لقوله تعالى على لسانه: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ**﴾ (٣٣/القصص). وإما لغيظ فرعون منه مصداقاً لقوله تعالى على لسانه: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ**﴾ (٢٦/غافر).

وثانياً: الحاجة إلى رسول آخر يعاون موسى حتى ولو لم يُقتل، مصداقاً لقوله تعالى على لسانه: ﴿**وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾ (٢٩-٣٢/طه). وقوله تعالى

على لسانه: ﴿**وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ**﴾ (٣٤/القصص).

٩٥- دور هارون :

الدور الأخير من دورى هارون، هو دور مستحدث لأول مرة تاريخياً، أى لم يكن هذا الدور موجوداً ولا معروفاً قبل أن يستحدثه القانون الإلهى وقتذاك، وبالتالى هو دور مُبتكر للغاية آنذاك، لكنه الأصل التاريخى للمحاماة حالياً.

إذ تتمخض المحاماة عن خلافة واحد لغيره كأنه موجود بذاته للدفاع عنها وعن عمله ووفقاً لتوجهاته أو توصياته، أى بديله، الذى يُسأل إذن عن تجاوزها أمام ذاك الأصيل. وهذا ما حدث بالفعل حال ذهاب موسى إلى ميقات ربه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ (١٤٢/الأعراف).

ولما عاد موسى راح يسائل خليفته عما حدث فى غيبته، بل حتى كان يسائله بعنف، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ (١٥٠/الأعراف).

لكن هارون لم يتجاوز دور المحاماة، ولم يُقصر تجاه القوم، مصداقاً لقوله تعالى فى هذا الشأن: ﴿**وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي. قَالَ يَا**

هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا. أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي. قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (٩٠-٩٤/طه).

٩٦- شرعية المحاماة:

إذن كانت مصر فى منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد، «مهد» المحاماة لأول مرة تاريخياً، والتى لم تنته بموت النبى هارون، ولا حتى فى عصر خاتم الرسل، حيث أُنيطت هذه المحاماة ذاتها لأول مرة تاريخياً، بآخر لم يكن نبياً. هو على بن أبى طالب، مصداقاً لقول خاتم الرسل إليه: **(أنت منى بمنزلة هارون من موسى. إلا أنه لا نبى بعدى)** (١٤٨٤/٣١١).

ولا محل بعدئذ للطعن فى «شرعية» وجود المحاماة التى هى رسالة أصلاً، ولو لم يسلم نظامها الوضعى من الانتقاد، الذى يمكن إصلاحه وتنظيم ممارستها بانضباط. فالمحاماة وإن كانت رسالة قائمة بذاتها، لكنها ليست قضاء من أى وجه من الوجوه، ولا حتى معاونة للقضاء، إنما هى معاونة للخصوم مباشرة، حتى لو كانت «محاماة الدولة»، سواء تعلقت هذه المحاماة بقضايا الدولة أو بالتحقيق الإدارى.

الفرع الثالث
يوشع بن نون

٩٧- نسبه :

يتدلى نسبه من «آل عمران»، ولو لم يتدل منهم من جهة أبيه، إنما يتدلى منهم من جهة أمه، التى هى مريم ابنة عمران، من مواليد النصف الأول من القرن الخامس عشر قبل الميلاد فى مصر. وهى من بنى إسرائيل، وأخت هارون وموسى، وبالتالى فإن يوشع من «آل عمران»

على أى الأحوال، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(ابن أخت القوم منهم)** (٤٣/٧٠).

٩٨- فتى موسى :

كان يوشع بن نون فتى موسى حال حياته، حتى صحبه خلال رحلته الشهيرة إلى الخضر بسيناء عند آخر نقطة فى اليابس السيناوى على البحر الأحمر، ورغم أن موسى قد بين له طول الرحلة وصعوبتها، مصداقاً لقوله تعالى على لسانه: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا**﴾ (٦٠/الكهف).

وهذه الرحلة كانت ضرورية لموسى، رغم طولها وصعوبتها، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(قام موسى خطيباً فى بنى إسرائيل. فسئل، أى الناس أعلم؟. فقال: أنا. فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه. وأوحى الله إليه: ان لى عبداً بمجمع البحرين، هو أعلم منك. قال: يارب! وكيف لى به؟. فقيل: احمل حوتاً فى مكتل، فإذا فقدته فهو ثم. فانطلق، وانطلق معه فتاه يوشع بن نون، وحملاً حوتاً فى مكتل ...)** (٤٣٥٧/٨٠٣).

٩٩- طريق الرحلة :

مؤكد أن طريق هذه الرحلة كان بمحاذاة البحر الأحمر حتى يتسنى للحوت الهرب من موسى وفتاه. لكن لم يُعرف بعد: هل أتيا بمحاذاة خليج العقبة أم بمحاذاة خليج السويس، خاصة أن كلا هما يفضى إلى الصخرة الموجودة فى بنى محمد عند مُلتقى الخليجين، وهى صخرة موجودة لغاية الآن؟

بل حتى جاوزا الصخرة مرة، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(فانطلق، وانطلق معه فتاه يوشع بن نون، وحملا حوتاً فى مكتل. حتى كانا عند الصخرة، فوضعا رؤوسهما فناما، فإنسل الحوت من المكتل، فاتخذ سبيله فى البحر سرباً، وكان لموسى وفتاه عجباً.**

(فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، فلما أصبحا، قال موسى لفتاه: (آتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا). ولم يجد موسى مساً من النصب حتى جاوز المكان الذى أمره الله به. فقال له فتاه: (أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ). قال موسى: (قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا). فلما انتهيا إلى الصخرة إذ رجل مُسجى بثوب. فسلم موسى، فقال الخضر: إنى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بنى إسرائيل؟. قال: نعم ...) (٤٣٥٧/٨٠٣).

١٠٠- أمين موسى :

لما أحس موسى بدنو أجله، لم يجد حوله من يستأمنه على أمانة إلا يوشع بن نون وأخر هو طالوت. أما الأمانة، فهى التابوت الذى حمل موسى رضيعاً وفى سكينة باليم، وفيه متعلقات أخرى خاصة بآل موسى وآل هارون. وعهد بها إليهما فى سرية، وكأمانة لوقت الحاجة إليها بعدئذ (٢٤٨/البقرة).

١٠١- بعثة يوشع نبياً :

لم يُبعث يوشع نبياً إلا بعد موت هارون ثم موسى. ولم يكن بنو إسرائيل قد دخلوا الأرض المقدسة بعد. فطلب منه الملأ ملكاً نبياً، وليس نبياً فحسب كيوشع، الذى قادهم إلى دخول بيت المقدس بعدئذ مصداقاً لقوله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ**

لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٢٤٦/البقرة).

ومما يتسم به يوم دخوله بيت المقدس لأول مرة تاريخياً، أن الله استجاب دعوة هذا النبى وحبس الشمس عليهم حتى يتم الفتح، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(وما حبست الشمس على بشر قط، إلا على يوشع بن نون، ليالى سار إلى بيت المقدس)** (٥٦١٢/٩٨٢).

١٠٢- غنائم الغزوة :

ومما تتسم به هذه الغزوة وقوع غلول فى غنائمها، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(غزا نبى من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعنى رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولما يبن بعد. ولا أحد بنى بيوتاً لم يرفع سقوفها. ولا أحد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر أولادها. فغزا، فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه.**

(فجمع الغنائم، فجاءت النار لتأكلها، فلم تطعمها. فقال: إن فيكم غلولاً. فليبايعنى من كل قبيلة رجل. فلزقت يد رجل بيده. فقال فيكم الغلول، فلتبايعنى قبيلتك. فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده. فقال: فيكم الغلول. فجاؤوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب. فوضعوها فجاءت النار فأكلتها) (٤١٥٣/٧٦٢).

إذ لم تكن الغنائم تحل لأحد قط، بل هى طعام للنار، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(لم تحل الغنائم لأحد من سود الرءوس من قبلكم. كانت**

تجمع وتنزل نار من السماء فتأكلها) (٥١٩٦/٩٢٢). لكن الغنائم أحلت بعدئذ لأمة خاتم الرسل، مصداقاً لقوله: **(ثم أحل الله لنا الغنائم. رأى ضعفنا وعجزنا، فأحلها لنا)** (٤١٥٣/٧٦٢). ومن ثم خصها القرآن بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها، هى السورة رقم(٨)، أى «سورة الأنفال».

١٠٣- تحديهم قول الله :

حتى الفاتحون لم يلتزموا بقول الله لهم بشأن ما يجب عليهم عقب دخولهم القرية، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ. فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ**﴾ (٥٨و٥٩/البقرة).

وقوله تعالى أيضاً: ﴿**وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ. فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ**﴾ (١٦١و١٦٢/الأعراف).

وقول خاتم الرسل: **(وقيل لبنى إسرائيل ادخلوا الباب سجداً، وقولوا حطة، فدخلوا يزحفون على استاهم، وقالوا حبة فى شعيرة)** (٤٤٣٠/٨١٥).

أما هذا الرجز، فهو الطاعون، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(الطاعون بقية رجز أو عذاب أرسل على طائفة من بنى إسرائيل...)** (٣٩٤٥/٧٣١). لكن أصبح المطعون شهيداً، إذا مات منه، وكان مسلماً، مصداقاً لقول الرسول: **(الطاعون شهادة لأمتى، وخز أعدائكم من الجن. غدة كغدة الإبل، تخرج بالآباط والمراق. من مات منه مات شهيداً. ومن**

أقام فيه كان كالمرابط فى سبيل الله، ومن فر منه كان كالفار من الزحف) (٣٩٤٦/٧٣١).

لكن لم يكن هذا الرجز أو العذاب «عاماً» على بنى إسرائيل آنذاك. إنما كان خاصاً بتلك الطائفة التى بدلت المطلوب منها، ولو ظن الباقون خطأ أنه عذاب عام، وبالتالى فروا منه، فأماتهم الله ثم أحياهم لكى يعلموا أن الحياة والموت بيد الله وحده، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ**﴾ (٢٤٣/البقرة).

وهذه ليست المرة الأولى التى يُميتهم الله فيها ثم يحييهم، إنما هذه المرة الثانية. فالمرة الأولى كانت فى سيناء حينما طلبوا رؤية الله لكى يؤمنوا لموسى، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ. ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ (٥٥ و٥٦/البقرة).

١٠٤- خروجهم نهائياً من مصر:

أياً كانت سمات هذا اليوم، فيكفى أنه يوم خروج بنى إسرائيل من مصر نهائياً، وعودتهم إلى الأرض المقدسة التى كتبها الله لهم. وبعده آتى الله ملكه لطالوت الذى سيأتيهم بالتابوت تحوطه الملائكة كآية على ملكه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ... وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ (٢٤٧و٢٤٨/البقرة).

الفرع الرابع
الخضر

١٠٥- إسمه :

لفظ الخضر لم يرد فى القرآن. بل ورد فى القرآن وصفه كعبد من عباد الله، وما تلقاه مباشرة من ربه، أى الرحمة والعلم على السواء، مصداقاً لقوله تعالى بشأنه: ﴿**عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**﴾ (٦٥/الكهف).

أما لفظ الخضر فقد ورد فى السنة أكثر من مرة، بل ورد بها تأويله مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(إنما سُمى الخضر خضراً، لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هى تهتز تحته خضراء)** (٢٣٦٤/٤٦٦).

١٠٦- إقامته :

كان الخضر مقيماً فى «سينين» أو «سيناء». فلفظ سينين (٢/التين) باللغة العربية الجامعة، يعدل بعدئذ لفظ سيناء باللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعدها بآلاف السنين، واستحدثت معها حرف «الهمزة» لأول مرة تاريخياً. وهى لم تزل سينين وسيناء على السواء، فكلاهما إسم بلغة عربية قائمة بذاتها، ولم يزل قائماً إلى الآن، أى لم يندثر بمرور الزمان آلاف السنين.

بل حتى كان الخضر يقيم فى نقطة حدودية مصرية، أى فى آخر حدود اليابس السيناوى على البحر الأحمر، وذلك عند الصخرة التى لم تزل موجودة إلى الآن ببنى محمد، حيث يلتقى خليج السويس بخليج العقبة معاً، مصداقاً لقول خاتم الرسل بشأن نقطة التقاء موسى وفتاه بالخضر: **(فلما انتهيا إلى الصخرة إذ رجل مُسجى بثوب. فسلم موسى،**

فقال الخضر: إنى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى. قال: موسى بنى إسرائيل؟. قال: نعم ...) (٤٣٥٧/٨٠٣).

وهى نقطة حدودية مصرية، أى نقطة فاصلة جغرافياً، فلا يمتد اليابس المصرى إلى ما بعدها من يابس، خاصة لو كان هذا اليابس الأخير موجوداً فى البحر الأحمر كتيران وصنافير، وبالتالى أطال القرآن فى بيان كيفية وصول موسى وفتاه إليها.

فاستغرق هذا البيان على استقلال ست آيات قرآنية، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا. فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا. فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا. قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا. قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا. فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ...**﴾ (٦٠-٦٥/الكهف).

لذا لم يكن للمصريين بعدئذ أن يختلفوا فيما بينهم حول تبعية هاتين الجزيرتين جغرافياً، كما لم يكن للقضاء الإدارى بدرجتيه أن يُفتى بتبعيتهما لليابس المصرى. ولم يكن لهؤلاء أو هؤلاء أن ينساقوا وراء أى «مرجع» بشأن هذه التبعية جغرافياً، إلا وراء القرآن والسنة، وذلك لمعرفة تبعيتهما منذ آلاف السنين إلى الآن وإلى مالا نهاية.

وعلى أى حال، هذه «الواقعة» توجب على المصريين، قضاة ومتقاضين وغيرهم، تذكر أن مبدأ: القرآن لم يُفرط فى بيان أى شئ (٣٨/الأنعام) ونزل تبياناً لكل شئ (٨٩/النحل)، هو واحد من «مبادئ

الشريعة»، التى هى المصدر الرئيسى للتشريع فى مصر عملاً بالمادة ٢ من الدستور.

١٠٧- الخضر مُعلم موسى :

علم الخضر موسى مقتضيات «التلمذة»، أى مقتضيات «التعلم» باعتباره بداية الطريق إلى العلم بوجه عام، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(إنما العلم بالتعلم)** (٢٣٣٨/٤٦١). ولم يعلمه إياهاً إلا بعد غرق فرعون وجنده وإقامة بنى إسرائيل فى التيه بسيناء، أى فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

فالصبر على تعلم «علم الرشد» بوجه خاص هو من مستلزمات هذا التعلم الضرورية للغاية. فلا علم مطلقاً بدون صبر على هذا التعلم، أو حتى بدون صبر كامل على الأقل، حتى لو كان هذا الصبر صعباً على طالب التعلم، مصداقاً لقوله تعالى بشأن هذه المسألة فى تحاور موسى والخضر: ﴿ **قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا. قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا. قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا. قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا**﴾ (٦٦-٧٠/الكهف).

وقلة الصبر لدى طالب التعلم هى آفة التعلم، وسبب قلة التعلم، حتى قلة تعلم موسى علم الرشد، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(رحمة الله علينا وعلى موسى، لو صبر لرأى من صاحبه العجب)** (٣٥٠١/٦٥٨)، وقوله أيضاً: **(رحم الله موسى لوددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما)** (٤٣٥٧/٨٠٤).

هذا رغم أن موسى لم يكن يتعلم آنذاك علم التأويل بنشأتيه الأولى والآخرة تاريخياً، إنما كان يتعلم هذا العلم فى نشأته الأولى تاريخياً

فحسب، أى العلم الذى تلقاه الخضر مباشرة من ربه وقتذاك (٦٥و٧٨و٨٢/الكهف).

١٠٨- أول مُعلم للتأويل بالحق :

كان الخضر يُعلم موسى مقتضيات الفهم، أى مقتضيات الإلمام بالكلام باعتبار هذا الكلام عملاً فى ذاته، وذلك بطريق التأويل بالحق. وبدءاً من تحليل العمل أياً كان إلى عنصريه وهما: العنصر الظاهرى المادى، جنباً إلى جنب العنصر الداخلى المعنوى أى الإرادة أو النية، ولو أن العبرة دائماً بالعنصر الأخير مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(إنما الأعمال بالنيات)**.

فالخضر لم يقصد خرق هذه السفينة بالذات، إلا باعتبارها أرخص سفينة بالنظر إلى حال أصحابها المساكين، وباعتبار خرقها أمراً ضرورياً لإعطاء كل أصحاب السفن بياناً عملياً عن كيفية الإفلات من قرار الملك بأخذ سفنهم غصباً، أى أخذها هى وطواقمها وبدون أجر، ولو مؤقتاً، إنما من أجل البحث عن أبدان الموتى الغرقى مع فرعون، رغم أن الأحياء أولى بعملهم وعمل سفنهم من الأموات.

كما أن الخضر لم يقصد وحده قتل الغلام، الذى طبع يوم طبع كافراً، ومعتاداً على التأفف من والديه المؤمنين، وعلى السخرية من كلامهما عن البعث بعد الموت، ويعتبر كلامهما عن الإيمان بالله من أساطير الأولين (١٧/الأحقاف)، وبالتالى سيرهقهما بطغيانه وكفره لا محالة، ومن ثم استعوضا ربهما فيه، وأرادا بدورهما أن يعوضهما سبحانه بغيره خيراً منه.

والخضر وموسى، وإن استطعما أهل قرية قتيل موسى، لكن يستحيل عقلاً على هؤلاء أن يطعموهما بأى حال، إنما لا مناص من درء خطر انهدام جدار تحته كنز ورثه ولدان غلامان عن أبيهما القتيل الذى كان صالحاً، وكانا يقيمان معه فى المدينة التى قتل فيها، ولم يكونا مقيمين فى القرية قبل قتله، ولا بعد قتله.

وبذا لم يكن لموسى أن يُقيم عمل الخضر ظاهرياً، ويتهمه مرتين بارتكاب جريمة هما: إتلاف مال الغير (السفينة) وقتل نفس بغير نفس (الغلام)، أو حتى يقطع باستحقاقه أجراً مادياً عن إقامة الجدار، وبالتالى أصبحت القاعدة حتى الآن: أن المتهم برئ إلى أن تثبت إدانته قضاء فى محاكمة عادلة يُبدى فيها دفاعه عن نفسه، أما قبل ذلك فهو لم يزل بريئاً.

كما لم يكن لموسى أن يُفوت ثلاث فرص منحه الخضر إياها قبل الفراق النهائى، وذلك حتى بإقرار موسى نفسه بعد أن أضاع فرصتين، مصداقاً لقوله تعالى على لسانه: ﴿ **قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا**﴾ (٧٦/الكهف). لكنه لم يلبث أن أضاع الفرصة الثالثة والأخيرة، وبالتالى وقع الفراق النهائى من جانب الخضر مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ** ...﴾ (٧٨/الكهف).

ومن ثم أصبحت القاعدة حالياً، أنه تلزم وتكفى فى الطلاق ثلاث مرات، ولا تقع الثلاث مجتمعات إنما تقع متفرقات، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**﴾ (٢٢٩/البقرة). أى أن أصل هذه القاعدة تاريخياً موجود فى قصة الخضر بمصر فى منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

وهكذا كانت مصر «مهد» كثير من القواعد القانونية الموجودة إلى الآن، مثل: المتهم برئ حتى تثبت إدانته قضاء، والطلاق ثلاث مرات متباعدات زمنياً، ودفع الضرر مقدم على جلب النفع، ويجوز دفع الضرر بضرر أقل. وكذا اختصاص القضاء بالحفاظ على أموال اليتامى. فكانت مصر مهدها لأول مرة تاريخياً، وفى منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وكان الخضر أول من علمها لموسى «القاضى» آنذاك.

١٠٩- علم التأويل بنشأتيه :

لم يتلق الخضر من ربه علم التأويل كاملاً، إنما تلقى فقط هذا العلم فى نشأته الأولى تاريخياً، والذى نزل بهذا مستقلاً تمام الاستقلال عن التوراة التى نزلت على موسى آنذاك.

وقد حرص الخضر على بيان استقلال علم التأويل عن التوراة، واستقلال التوراة عن علم التأويل، مصداقاً لقول خاتم الرسل على لسانه: **(يا موسى إنى على علم من علم الله تعالى علمنيه، لا تعلمه أنت. وأنت على علم من علم الله تعالى علمكه الله لا أعلمه. « قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا». فانطلقا يمشيان على الساحل، فمرت سفينة، فكلموهم أن يحملوهما، فعرفوا الخضر، فحملوهما بغير نول. وجاء عصفور على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين فى البحر. فقال الخضر: يا موسى ما نقص علمى وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور فى البحر ...)** (٤٣٥٧/٨٠٤).

أما علم التأويل بنشأتيه، فلم ينزل على استقلال عن القرآن بعدئذ، إنما نزل هذا العلم صحبة القرآن ذاته على خاتم الرسل. فتلقى الرسول إذن علم التأويل فى نشأته الأولى حال نزوله على الخضر (الآيات ٦٠-٨٢/الكهف)، وكذا علم التأويل فى نشأته الآخرة تاريخياً.

وبهذا تلقى خاتم الرسل علم التأويل كاملاً. وتلقاه مباشرة من ربه، الذى يعلم وحده التأويل الحق لهذا القرآن، ويعلم الراسخون فى العلم أن القرآن وتأويله كل نزل معاً من عند الله، ويتذكر أولوا الألباب علم تأويل الخضر قديماً، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ**﴾ (٧/آل عمران).

وتأويله سبحانه، هو أحسن تفسير بالحق (٣٣/الفرقان) للقرآن بلغاته العربية الثلاث، وليس بلغة عربية واحدة منهن دون لغتين منهن كما جرت كافة «شروح» القرآن وقصصه إلى الآن، وبالتالى لم تكن مصر فى حاجة إليها يوماً، بل حتى وجودها حالياً مثير للاضطراب حول القرآن والسنة.

خذ مثالاً تأويل «لفظ قروء»، ليس مطلوباً فقط فى نظام الطلاق مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ**﴾ (٢٢٨/البقرة). إنما مطلوب أيضاً فى نظام الصلاة مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(فانظرى، فإذا أتى قروؤك فلا تصلى، فإذا مر قروؤك فتطهرى. ثم صلى ما بين القرء والقرء)** (٥٣٦٣/٤٦٦). وهما من أنظمة النساء، طلاقاً وصلاة، إنما هو من ألفاظ اللغة العربية الخاتمة التى استحدثت «الهمزة» لأول مرة تاريخياً.

وهذا اللفظ يعدل «لفظ المحيض» باللغة العربية الجامعة قبل ذلك بآلاف السنين، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ**﴾ (٢٢٢/البقرة).

١١٠- أسس التأويل :

الحق كأساس لكل شئ بإطلاق حتى «التأويل الحق»، فإنه موضوع سورة قرآنية قائمة بذاتها، هى السورة رقم (١١٢)، أى «سورة الإخلاص»، أو بالأحرى الله واحد أحد أول وآخر وظاهر وباطن، وليس أصلاً لفرع ولا فرعاً لأصل، ولا نظير ولا نقيض له سبحانه (١-٤/الإخلاص)، وتلك السورة وحدها تعدل ثلث القرآن كاملاً، وتؤسس لنظام التأويل بالحق، ومثنى بمثنى، وذلك على التفصيل التالى:

أولاً: التأويل بالواحد قبل الأحد، والتأويل بالأحد بعد الواحد، والتأويل بهما معاً، والتأويل بهما قبل أى شئ بإطلاق، وحتى قبل الأول والآخر.

وثانياً: التأويل بالأول قبل الآخر، والتأويل بالآخر بعد الأول، والتأويل بهما معاً، والتأويل بهما بعد الواحد الأحد على الأكثر، والتأويل بهما قبل الظاهر والباطن على الأقل.

وثالثاً: التأويل بالظاهر قبل الباطن، والتأويل بالباطن بعد الظاهر، والتأويل بهما معاً، والتأويل بهما بعد الأول والآخر على الأكثر، والتأويل بهما قبل الأصل والفرع على الأقل.

ورابعاً: التأويل بالأصل قبل الفرع، والتأويل بالفرع بعد الأصل، والتأويل بهما معاً، والتأويل بهما بعد الظاهر والباطن على الأكثر، والتأويل بهما قبل النظير والنقيض على الأقل.

١١١- ثم التأويل بالنظير قبل النقيض، والتأويل بالنقيض بعد النظير، والتأويل بهما معاً، والتأويل بهما بعد الأصل والفرع على الأكثر، والتأويل بهما أخيراً وآخراً وباعتبار هذا التأويل بمثابة استثناء، مما يقتضى تضييق نطاقه عن القرآن ذاته الذى لا يقبل مطلقاً هذا القياس

عليه، وبالتالى يقتصر نطاقه على لائحة القرآن التنفيذية أى السنة، وعلى لائحتهما الفرعية أى القانون الوضعى وذلك مُقنن فى الآية ٨٣ من سورة النساء، وبما يترتب عليها من أثرين:

١- فالكلام بعدئذ عن «إمكانية» التأويل بما يُسمى تجوزاً شرع من قبلنا، أو سد الذرائع، أو الاستحسان، أو المصلحة، أو الإجماع أو حتى القياس على القرآن، إنما يتمخض عن إمكانية التأويل بشواهد خيالية غامضة ومبهمة ومجهولة، فلم تكن موجودة فى عصر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وبالتالى لا يُعتد بها مطلقاً، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله. وإن أفضل الهدى هدى محمد. وشر الأمور محدثاتها. وكل محدثة بدعة. وكل بدعة ضلالة. وكل ضلالة فى النار)** (١٣٥٣/٢٨٧).

٢- والكلام بعدئذ عن أولوية النقل على العقل أو العكس، كالكلام الطفولى عن أولوية البيضة على الفرخة أو العكس. فكلتاهما مسألة نظرية جدلية عديمة الجدوى علمياً. فالنقل من عقل إلى عقل، كالعقل فى نقل عن نقل، فيتمخضان عن وجهين لشئ واحد يدور فى رأس إنسان، ومتداخلين للغاية مع بعضهما، ويستحيل مطلقاً التمييز أو الترجيح بينهما.

وكذا المسألة الطفولية الأخرى لم تُعالج بعد من منظور قوله تعالى: **﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾** (٣٦/آل عمران). فالديك أسبق فى الوجود تاريخياً من الفرخة والبيضة على السواء. مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(إن الله أذن لى أن أحدث عن ديك. مرقت رجلاه فى الأرض، وعنقه مثنية تحت العرش. وهو يقول: سبحانك ما أعظمك. فيرد عليه: لا يعلم ذلك من حلف بى كاذباً)** (١٧١٤/٣٥٢).

١١٢- الخضر من أهل الذكر:

لم يكن الخضر نبياً، ولا ملكاً، ولا إسرائيلياً بمصر فى منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد، إنما كان مصرياً من مغارب مصر، أى مصرياً سيناوياً، لكنه من أهل مصر على أى الأحوال. وشأنه فى ذلك شأن الفتية السبعة أصحاب الكهف فى مشارق مصر، قبل تسميتها مصر بآلاف السنين، وقبل طوفان نوح.

فكلهم من أهل الذكر فى القرآن، أولئك الذين يجب أن نسألهم وحدهم عما لا نعلمه من هذا الذكر مباشرة، مصداقاً لقوله تعالى مرة تلو مرة: ﴿**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ (٤٣/النحل، ٧/الأنبياء). فإسأل الخضر مثلاً عن تبعية تيران وصنافير، وتبعية مثلث حلايب وشلاتين. واسأل الفتية السبعة، عمن صنع صورة آدم المادية، وعن المسجد الذى بُنى فوق مدفنهم مثلاً.

١١٣- الخضر من أولى العلم :

والخضر بهذا من أولى العلم، أى أوائل من تلقوا العلوم تباعاً ومباشرة من ربهم، وكانوا إذن أوائل من شهدوا بعد الملائكة التى شهدت بعد الله، بألوهيته ووحدانيته وقيامه سبحانه على كافة شئون القسط فى الكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ**﴾ (١٨/آل عمران).

ولا صعوبة بعدئذ فى تأويل «لفظ ألم» بلغة الصاد العربية، والموجود فى مُفتتح ست سور قرآنية هى: «البقرة – آل عمران – العنكبوت – الروم – لقمان – السجدة، أى هو موضوع ست آيات قرآنية، بل حتى آيات موجودة فى مُفتتح ست سور من سور لغة الصاد العربية فى القرآن».

فهذا اللفظ من الألفاظ «النصفية». فهو لفظ قائم بذاته، ولو لم يكن لفظاً كاملاً، وهو مكون من حروف عربية متصلة ببعضها، وبالتالى ليس مجرد حروف متقطعة، ولو لم يُقرأ لفظياً إنما يُقرأ حرفياً أى حرفاً بحرف. وهو لفظ نصفى، لأن لغة الصاد العربية مبنية على أربعة عشر حروفاً هجائياً فحسب، أى نصف الحروف الهجائية العربية الكاملة بعدئذ.

وتأويله يقتضى استكماله، من لغة الملائكة فى القرآن، وعملاً بقاعدة: وما يذكر إلا أولوا الألباب. وسبق بيان أن الملائكة شهدت بأن الله هو المقسط، وبالتالى فلفظ «الم» يعدل بعدئذ نصف لفظ «المقسط» الذى هو إسم من أسماء الله الحسنى، وشهدت به الملائكة فى الآية (١٨/آل عمران).

ولا جدوى مطلقاً من قراءة السور القرآنية السابقة، بدون معرفة تأويل لفظ الم، لكونها من سور لغة الصاد العربية فى القرآن. وهذا التأويل يقتضى معرفة تأويل «لفظ القسط»، الذى يتمخض عن معيار الصواب والخطأ فى الكون، أى معيار «المعروف» و «المنكر» فى الكون.

١١٤- الخضر من أهل القرآن :

وأولوا العلم هم أوائل من يخشون الله مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء**﴾ (٢٨/فاطر). وهم بهذا أوائل الناس فى تلقى العلوم مباشرة من ربهم، وفى الخشية منه سبحانه، بالتالى هم الأوائل على وجهين، والمقربون من ربهم، مصداقاً لقوله تعالى بشأنهم:﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ**﴾ (١٠-١٤/الواقعة).

ومن ثم استحقوا الذكر فى القرآن، أو بالأحرى هم أهل القرآن الموجودون فيه دائماً لكى يسألهم الناس عما لا يعلمونه مباشرة، وبالتالى فهم ليسوا موجودين خارج القرآن على الإطلاق، لكونهم أهل الله وخاصته، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(إن لله تعالى أهلين من الناس: أهل القرآن، وهم أهل الله وخاصته)** (٢١٦٥/٢٣٤).

١١٥- الخضر من أصحاب الأعراف :

أهل الله وخاصته هم حتى «المص» بلغة الصاد العربية الفاتحة. وقد خصهم القرآن بموضوع آية قرآنية قائمة بذاتها، هى الآية الأولى فى سورة الأعراف، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**ألمص**﴾ (١/الأعراف).

وهذا اللفظ من الألفاظ النصفية، ويعدل بعدئذ نصف لفظ «المصدقون» (١٨/الحديد) باللغة العربية الجامعة، أى «الصديقون» باللغة العربية الجامعة أيضاً (١٩/الحديد)، بمعنى «المتقون» باللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعدها بآلاف السنين، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ (١٧٧/البقرة).

وهم طائفة قائمة بذاتها يوم القيامة، أى طائفة على استقلال، فلا هم طائفة أصحاب الميمنة، ولا هم طائفة أصحاب المشأمة، إنما هم طائفة السابقين السابقين مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً**﴾ (٧/الواقعة). أى ثلاث طوائف مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ. وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ. وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ**﴾ (٨-١٠/الواقعة).

والأخيرون هم طائفة «أصحاب الأعراف» أو «رجال الأعراف»، الذين ينادون الطائفتين الأخريتين مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ**

وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ... وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٤٦و٤٨/الأعراف).

وليس معنى هذا بالبداهة أن الخضر لم يزل حياً إلى الآن، أو لم يتلق من ربه إلا علماً لدنياً أى غيبياً وحكراً عليه وحده دون غيره، ومن ثم لم يترك خلفه أى علم أو شرع على الإطلاق، وبالتالى لن تتمخض قصته إلا عن واحدة من العجائب الغيبية التى يقف أمامها العقل البشرى حائراً كما يزعم شراح القرآن وقصصه على امتداد الأربعة عشر قرناً الماضية وإلى الآن، وحتى فى مصر موطن الخضر مُعلم موسى النبى علم الرشد.

المطلب الخامس

مصر

والأمة الأمية

تنويه:

قصة مصر جزء من قصة «الأمة الأمية»، منذ دخلت فيها عام ٢٠هـ/٦٤٢م أى فى وقت مبكر للغاية. وهى ليست فقط أمة قائمة بذاتها نوعياً، إنما هى أيضاً أحدث أمة تاريخياً، بل هى حتى أمة ذات نظام قانونى مستحدث ويتمثل مباشرة فى القرآن والسنة معاً ووحدهما مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما، كتاب الله وسنتى، ولن يتفرقا حتى يرادا علىَّ الحوض)** (٢٩٣٧/٥٦٦). فلا يجوز اختزاله بعدئذ، ولا حتى قصره على القرآن وحده، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(لا ألفين أحدكم مُتكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمرى، مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا أدرى. ما وجدناه فى كتاب الله اتبعناه)**(٧١٧٢/١٢٠٤).

وهذا النظام الأحدث، ألغى فوراً كافة ما كان قبله من أنظمة أقدم تاريخياً، مصداقاً لقوله تعالى:﴿ **مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (١٠٦/البقرة). ثم حل وحده محلها كافة، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(أعطيت مكان التوراة السبع الطوال. وأعطيت مكان الزبور المئين. وأعطيت مكان الإنجيل المثانى. وفضلت بالمفصل)** (١٠٥٩/٢٤١). ومن ثم نزل كاملاً تاماً من حيث موضوعه، أى لم يُفرط فى بيان أى شئ على الإطلاق (٣٨/الأنعام) ونزل تبياناً لكل شئ بإطلاق (٨٩/النحل)، وبالتالى لم يبق هناك ثمة نفاذ قانونى للأنظمة الأقدم تاريخياً مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا بَدَّلْنَآ آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ (١٠١/النحل).

وهذا النظام لا يأبى فقط تلوينه أو تلوينها بأى لون آخر، ولو حتى لون «الإسلامية» كما فى عبارة «الشريعة الإسلامية» وعبارة «الأمة الإسلامية»، إنما يأبى أيضاً وجود الجماعات الطائفية ولو كانت ملونة إسلامياً، وبالتالى أقدمت مصر مؤخراً على حل «جماعة» منها، ولو كانت خطوة متأخرة زمنياً، ولم تزل متأخرة عن حل باقى الجماعات على اختلاف مسمياتها، فلا دليل هناك على أنها كانت تخدم الدين يوماً.

مقدمة المطلب

١١٦- مبادئ وحدة الأمة :

الأمة الأمية ليست مجرد شعب على أرض دولة أياً كانت، بل هى أكبر من ذلك، وأكبر بكثير جداً، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ (١٣/الحجرات). فهى أمة كاملة على أرض الله بوجه عام، أى «جماعة» واحدة وموحدة على الدوام، وقوتها الذاتية فى وحدتها، أى وحدة مؤلفيها معاً فى حالة اعتصامهم وتعاونهم وتآلفهم معاً.

أى فى حال اعتصامهم معاً بحبل الله، وهو القرآن، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ**﴾ (١٠٣/آل عمران). وقول خاتم الرسل: **(إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى. أحدهما أعظم من الآخر. كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض)** (٢٤٥٨/٤٨٢). وقوله أيضاً: **(أبشروا، فإن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم. فإنكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده أبداً)** (٣٤/٦٩).

وفى حال تعاونهم معاً على البر والتقوى، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ (٢/المائدة). وقول خاتم الرسل: **(والذى نفسى بيده، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن أن يبعث الله عليكم عقاباً من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم)** (٧٠٧٠/١١٨٩). وفى حال تآلفهم وتماسكهم معاً، وعدم تنازعهم فيما بينهم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾ (٤٦/الأنفال). وقوله تعالى: ﴿**فَإِن**

تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (٥٩/النساء)([1]).

ووحدة هذه الأمة مُناطة بأسلوبها الواحد الموحد، سواء فى اصطفاف مؤلفيها معاً أو فى تفاهمهم معاً أو فى تفكيرهم معاً، وعلى اعتبار أن هذه الأمة جماعة واحدة وموحدة ومُنظمة حتى من حيث أسلوب وحدتها، وبالتالى تتوزع محتويات المطلب الحالى على ما يلى:

الفرع الأول: نظام اصطفاف الأمة.

الفرع الثانى: نظام تفاهم الأمة.

الفرع الثالث: نظام تفكير الأمة.

([1]) فلا أولوية ولا مرجعية بعدئذ لغير الله ورسوله، ولا حتى فى مصر قبل أو بعد وجود الأزهر، خاصة أن هذا الأزهر ليس أكثر من دار تعليم مصرية، فلا هو وحده يحتكر التعليم فى مصر، ولا له أى مرجعية بدلاً من الله ورسوله، حتى لو نصت المادة ١/٧ من الدستور على العكس، الذى يستحيل عقلاً وشرعاً تصديقه، وذلك بقولها: «الأزهر الشريف هيئة إسلامية ... وهو المرجع الأساسى فى العلوم الدينية والشئون الإسلامية. ويتولى مسئولية الدعوة ونشر علوم الدين واللغة العربية فى مصر والعالم».
لذا لم يلبث هذا الدستور ذاته أن نزع من الأزهر تلك المرجعية، بعد وجود المحكمة الدستورية العليا عام ١٩٧٩، فأسند إلي أحكامها وحدها تلك المرجعية حتى بشأن «مبادئ الشريعة» عامة، وذلك فى ديباجته التى هى جزء لا يتجزأ منه، بقولها: «مبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع، وأن المرجع فى تفسيرها هو ما تضمنه مجموع أحكام المحكمة الدستورية العليا فى هذا الشأن». رغم أن هذه المبادئ ذاتها، لم تزل غامضة ومبهمة ومجهولة، سواء فى أحكام هذه المحكمة العليا، أو حتى فى أحكام محكمة النقض.

الفرع الأول
نظام
اصطفاف الأمة

١١٧- كيف تصطف الأمة الأمية؟

هذا السؤال مبدئى للغاية، وبالتالى كان من الواجب معرفة إجابته منذ مجئ القرآن والسنة إلى مصر لأول مرة تاريخياً عام ٢٠هـ/٦٤٢م، وذلك لسببين على الأقل، كما يلى:

فأولاً: يتعلق هذا السؤال بالكيفية التى على كل مُخاطب بالقرآن والسنة،أن يتراص بها فى صف الأمة الأمية منذ نشأتها حتى نهايتها، لكيلا تكون يوماً أمة منفرطة فعلاً أو قولاً على الأقل.

لذا يحذر خاتم الرسل أمته من انفراط عقدها قولاً أو فعلاً، أو هما معاً، ولو فى آخر الزمان، مصداقاً لقوله فى هذا الشأن: **(سيكون فى أمتى اختلاف وفرقة. قوم يُحسنون القيل، ويسيئون الفعل، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم. يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية. لا يرجعون حتى يرتد على فوقه، هم شرار الخلق والخليقة. طوبى لمن قتلهم وقتلوه. يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه فى شئ. من قاتلهم كان أولى بالله منهم. سيماهم التحليق)** (٣٦٦٨/٦٨٤).

فالخطورة فى قابلية هذا الانفراط للتنامى تباعاً بمرور الزمان، أى تناميه موضوعياً وشخصيا، وبالتالى ازدياده سوءاً على سوء، ما لم يكن له علاجاً حاسماً يُنقذ الأمة من الهلاك الداخلى. أى يُعيدها إلى اصطفافها فى صفها.

وثانياً: يتعلق هذا السؤال بما لم يخطر على بال أحد طوال الأربعة عشر قرناً الماضية، أى يتعلق مباشرة بالصف، الذى خصه القرآن بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها، هى السورة رقم (٦١)، أى «سورة الصف».

إذ يجب أن تكون هذه الأمة مُصطفة قولاً وفعلاً على السواء، ومصطفة حتى فى صف مرصوص رصاً، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ. إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾ (٢-٤/الصف).

١١٨- الصف المرصوص:

فيجب إذن أن تكون الأمة مُتراصة فى بنيان من صفين على الأكثر، إنما فى صفين متعاقبين ومتتابعين على وجه الدوام، أى صف المتبوعين يتبعه صف التابعين.

وهذه التبعية على استقلال مُقننة فى القرآن والسنة، ومُعينة نوعياً وتاريخياً من حيث المتبوعين ومن حيث التابعين ومن حيث جزاء الالتزام بها، وبالتالى لم يعد للمخاطب بالقرآن والسنة الخيرة من أمره بشأن هذه التبعية الإلزامية، وذلك كما يلى:

فأولاً: طرفا هذه التبعية مُعينان عداً وحصراً، وهما جناح المتبوعين وجناح التابعين، ولا محل بعدئذ فى هذا الصف لغيرهما على الإطلاق، أى حتى لو كان «الأئمة» الموجودين إذن خارج هذا الصف بشقيه، فلا هم فى صف المتبوعين، ولا هم فى صف التابعين، وبما يترتب على ذلك من أثر فى حقهم.

فمآلهم فى الآخرة معلوم سلفاً وبصرف النظر عن أشخاصهم وأسمائهم وأوطانهم وأزمانهم ومللهم. بل حتى حكمهم وقتذاك لن يختلف فى شئ عن حكم نظرائهم قبل نزول القرآن والذين ورد حكمهم فى الآيتين ٦٥/البقرة و١٦٦/الأعراف، مصداقاً لقول خاتم الرسل بشأنهم خاصة: **(ستكون أئمة من بعدى، يقولون فلا يرد عليهم قولهم. يتقاحمون فى النار، كما تقاحم القردة)** (٣٦٥١/٦٧٦).

وثانياً: لم يعد أمام التابعين بعدئذ سوى اتباع المتبوعين المعينين قرآناً وسنة، وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار. فأولئك هم الذين يجب اتباعهم وحدهم دون غيرهم. واتباعهم على الدوام، أى حال حياتهم وبعد مماتهم وإلى ما لا نهاية. واتباعهم مباشرة، وبإحسان، واسترضاء لله تعالى، ورضاء به سبحانه، وابتغاء الفوز العظيم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ (١٠٠/التوبة).

١١٩- من هم السابقون الأولون ؟

هؤلاء على استقلال، لا هم الصحابة، ولا هم المهاجرون، ولا هم الأنصار، ولا هم حتى العشرة المبشرون بالجنة، ولا هم مجهولون لأحد بأشخاصهم أو بذواتهم أو بعددهم.

فهم مُعينون عداً وحصراً وشخصاً على السواء، وفى القرآن والسنة معاً، وذلك كما يلى: ١- فالرسول من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ويجب اتباعه بإحسان، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ (٢١/الأحزاب). ٢- وكذا أبو بكر وعمر من السابقين الأولين،

ويجب اتباعهما بإحسان، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(اقتدوا باللذين من بعدى، أبى بكر وعمر)** (١١٤٢/٢٥٤). ٣- ويكفى أن الرسول لم يكن مهاجراً فحسب، إنما أيضاً كان أنصارياً مصداقاً لقوله: **(لولا الهجرة لكنت أمرأ من الأنصار)** (٢٨٩١/٥٣٩).

فهم إذن ثلاثة على الأكثر، ومدافنهم جنباً إلى جنب على استقلال، لكى يقف الحجاج والعمار وغيرهم أمامها، وذلك لتحيتهم والترحم عليهم وذكر فضلهم فى إقامة الأمة وتجديد العهد باتباعهم وحدهم دون غيرهم أياً كان فى نظر الناس بعدئذ، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا**﴾ (٣٦/الأحزاب).

وبهذا لم يكن هناك أى «مسوغ» لاتباع غيرهم أياً كان، أى حتى أولئك الذين تبارى اللغويون طوال الأربعة عشر قرناً الماضية فى تسويقهم بأوصاف لم ينزل الله بها من سلطان، مثل: «الأمام الأعظم» و «الإمام الأكبر» و «حبر الأمة» و «شيخ الإسلام» و «حجة الإسلام» و «آية الله» و «ترجمان القرآن» و «فقيه أهل البيت» ... إلخ، خاصة أن ذلك هو ما كان خاتم الرسل يخشى منه على أمته خشية بالغة للغاية مصداقاً لقوله: **(إن أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان)** (١٥٥٤/٣٢٣).

١٢٠- خصوصياتهم :

أولاً: حتى هؤلاء الثلاثة هم السابقون الأولون إلى الجنة، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(عشرة فى الجنة: النبى فى الجنة، وأبو بكر فى الجنة، وعمر فى الجنة ...)** (٤٠١٠/٧٤٢). وهم بهذا من السابقين

السابقين المقربين من ربهم فى جنات النعيم، مصداقاً لقوله تعالى بشأن هؤلاء إجمالاً: ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ**﴾ (١٠-١٤/الواقعة).

وثانياً: بل هم حتى من طائفة (المص) (١/الأعراف)، أى طائفة أصحاب الأعراف يوم القيامة (٤٨/الأعراف). حتى أبو بكر وعمر، مصداقاً لقول الرسول بشأنهما وحدهما دون غيرهما من الصحابة ومن المبشرين بالجنة: **(إن أهل الدرجات العلى يراهم من أسفل منهم كما ترون الكوكب الطالع فى أفق السماء. وإن أبا بكر وعر منهم وأنعما)** (٢٠٣٠/٤٠٧). وقوله أيضاً **(أبو بكر وعمر سيداً كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين)** (٥١/٧١).

وثالثاً: اتباع هؤلاء الثلاثة وحدهم وبإحسان، هو إذن «معيار» الفرقة الناجية من النار، أى معيار تمييزها عن غيرها من الفرق والملل ولو بلغت أكثر من سعبين ملة، وذلك بصرف النظر عن مُسميات هذه الفرق أو الملل، مصداقاً لقول خاتم الرسل بشأن هذا المعيار: **(ليأتين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل ...، وإن بنى إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة. وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة. كلهم فى النار، إلا ملة واحدة، ما أنا عليه وأصحابى)** (٣٥٤٣/٩٤٣). فهى إذن طائفة المؤمنين.

١٢١- أحكام خاصة بطائفة المؤمنين :

أولاً: هى طائفة لا تتراص إلا فى الصف الذى يلى مباشرة خاتم الرسل، سواء حال حياته، أو بعد مماته، وإلى ما لا نهاية، مصداقاً لقوله: **(كونوا فى الصف الذى يلينى)** (٤٥٨٧/٨٤١). وقوله أيضاً: **(لا تزال**

طائفة من أمتى قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتى أمر الله، وهم ظاهرون على الناس) (١٢١٩/٧٢٩٠). وقوله كذلك: **(لا تزال عصابة من أمتى يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم، حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك)** (١٢٢٠/٧٢٩٦).

وثانياً: وهذه الطائفة خصها القرآن بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها، هى السورة رقم (٢٣)، أى «سورة المؤمنون»، وجنباً إلى جنبها ثلاث سور أخرى هى: السورة رقم (٦٣) أى «سورة المنافقون»، وكذا السورة رقم (٨٣) أى «سورة المطففين»، ثم السورة رقم (١٠٩) أى «سورة الكافرون» والتى تعدل إذن رُبع القرآن مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(«قل يا أيها الكافرون» تعدل ربع القرآن)** (٨١٢/٤٤٠٥).

وثالثاً: وحال اقتتال فرعين من هذه الطائفة مع بعضهما، وجب الصلح بينهما أو قتال الفرع الباغى بحسب الأحوال، مصداقاً لقوله تعالى: **﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** (٩/الحجرات).

١٢٢- أحكام خاصة بباقى الملل :

أولاً: هذه الطائفة ثلاثية داخلياً، ثلثها على الأكثر مسالم، وثلثاها غير مسالم، لكن أعمالها أعمال جاهلية على أى الأحوال، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً. وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعَصَبَيةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى**

عَصَبَيةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَيةً، فَقُتِلَ ، فَقِتْلَتةٌ جَاهِلِيَّةٌ. وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُ) (٦٢٢٧/١٠٧٠).

ثانياً: ثلثاها غير المسالم لا يحارب إلا الله ورسوله، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (٣٣و ٣٤/المائدة).

وقد أصبحوا عبئاً على الإسلام ذاته، وتكئة للطعن فيه وتشويهه عالمياً، وألعوبة فى يد من يرائى الدولة التى تستغلهم، وتستأجر منهم خدمة الحرابة، التى لم يعد لهم عملاً سواها.

ثالثاً: يوم القيامة سيكون يوم التبرؤ المتبادل فى هذه الطائفة بين التابعين وبين المتبوعين، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ. وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**﴾ (١٦٦و ١٦٧/البقرة).

إذن تبرؤ التابعين من متبوعيهم يوم القيامة، هو تبرؤ متأخر زمنياً، وكان الواجب حصوله فى الدنيا، وبالتالى لم يكن للمشرع فى مصر أن يُلزم الشعب المصرى باتباع «أبى حنيفة» على الأقل، ولو فى مسائل الأحوال الشخصية، بموجب المادة (٣) من مواد إصدار القانون ٢٠٠١/١ بشأن بعض أمور التقاضى فى تلك المسائل، وذلك بقولها: «يعمل فيما لم

يرد به نص فى تلك القوانين بأرجح الأقوال فى مذهب الإمام أبى حنيفة».

فلا أبو حنيفة من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ولا هو برلمان، ولا هو مصرى، ولا الشعب المصرى يتبع فى مسائل الأحوال العينية إلا «مبادئ الشريعة» (م١/٢ مدنى)، ولا مصر هى إيران حيث ولاية الفقيه، ولا فقه المتبوعين خطأ يُغنى عن لائحة القرآن التنفيذية أى السنة، ولا يغنى من باب أولى عن القرآن ذاته، ولا يغنى حتى عن لائحتهما الفرعية أى القانون الوضعى (٥٩/النساء).

الفرع الثانى
نظام
تفاهم الأمة

١٢٣- هل تتفاهم بالأعجمية؟

الأمة الأمية ليست «أعجمية» قولاً ولا فعلاً، كلياً ولا جزئياً، وبما يترتب على ذلك من آثار كما يلى على الأقل:

فأولاً: لم ينزل القرآن أعجمياً على الإطلاق. فلا كله أعجمى مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ**﴾ (٤٤/فصلت). ولا بعضه أعجمى على الأقل، مصداقاً لقوله تعالى:﴿**أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء**﴾ (٤٤/فصلت).

ومن ثم لم ينزل هذا القرآن على أعجميين، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ. فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ**﴾ (١٩٨و١٩٩/الشعراء). ولا مصدر هذا القرآن إذن أعجمى، مصداقاً لقوله

تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ**﴾ (١٠٣/النحل).

وثانياً: بل حتى يُحذر خاتم الرسل أمته من تقليد الأعاجم فرساً وروماً، أى تقليدهم قولاً أو فعلاً، ولو حتى فى آخر الزمان، مصداقاً لقوله: (**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتى أخذ القرون قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع. قيل: يا رسول الله كفارس والروم؟. قال: ومن الناس إلا أولئك**)؟ (٧٤٠٨/١٢٣٥).

ويتمخض هؤلاء الأعاجم بعدئذ عن بنى إسرائيل، مصداقاً لقول خاتم الرسل: (**لتتبعن سنن الذين من قبلكم، شبراً بشر، أو ذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قالوا: اليهود والنصارى؟. قال: فمن؟**) (٥٠٦٣/٩٠٣). وكذا قوله: (**لتركبن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو أن أحدهم دخل حجر ضب لدخلتم. وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه**)(٥٠٦٧/٩٠٣).

وثالثاً: كما يحذر خاتم الرسل أمته من عداوة الأعاجم لها، حتى لو أسلموا مؤقتاً، فلا تستبعد إذن خيانتها من جانبهم، مصداقاً لقول خاتم الرسل: (**ستصالحون الروم، صلحاً أمناً. فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائهم. فتسلمون وتغنمون. ثم تنزلون بمرج ذى تلول فيقوم رجل من الروم فيرفع الصليب، ويقول: غلب الصليب! فيقوم إليه رجل من المسلمين فيقتله. فيغدر القوم، وتكون الملاحم، فيجتمعون لكم، فيأتونكم فى ثمانية غاية مع كل غاية عشرة آلاف**) (٣٦١٢/٦٧٦).

كما يحذرها من قتالهم لها، ولو فى آخر الزمان، مصداقاً لقوله (**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا وكرمان من الأعاجم. حمر الوجوه، فطس**

الأنوف، صغار الأعين. كأن وجوهم المجان المطرقة. نعالهم الشعر) (٧٤١٥/١٢٣٦). وقوله أيضاً: **(لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك، صغار الأعين، حمر الوجود، زلف الأنوف، كأن وجوهم المجان المطرقة. ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر)** (٧٤١٣/١٢٣٥).

وكذا قوله كذلك: **(لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودى، يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله)** (٧٤١٤/١٢٣٦).

وهذا من باب ضرورة الإعداد، والمرابطة فى أكمنة الحدود، لتحجيم الأعداء المعلومين وغير المعلومين إلا الله، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ**﴾ (٦٠/الأنفال).

١٢٤- أمة تتفاهم بالعربية :

تتفاهم الأمة الأمية بالعربية، ولا تتفاهم إلا بها، أى تتفاهم بها وحدها. لكنها ليست العربية بصيغة المفرد أى باعتبارها لغة واحدة نوعياً وتاريخياً، إنما هى العربية بصيغة الجمع أى باعتبارها جمعاً من اللغات العربية المتباينة نوعياً والمتعاقبة تاريخياً من قبل خلق آدم إلى الآن، وهى: العربية الفاتحة (١/ص~) والعربية الجامعة (٣١-٣٣/البقرة) والعربية الخاتمة.

وهى إذن لغات القرآن العربية حالياً، ولو أن المؤسسات اللغوية على مستوى العالم وفى شكل أكاديميات وأقسام ومجامع للغة العربية، لم تزل تختلق لهذه اللغات مشكلة مزدوجة الجانب، وذلك كما يلى: **فأولاً:**

هذه المؤسسات لم تزل تُنكر وجود «جوامع العربية» أو «جوامع الكلم» فى القرآن والسنة على السواء، وبزعم أن هذا القرآن لم ينزل إلا بلغة عربية واحدة نوعياً وتاريخياً، وتمخضت عن لغة قريش وجاراتها وقت نزول القرآن، حتى لغتها المدفونة فى مدونات الشعر الجاهلى قبل نزول القرآن.

وثانياً: هذه المؤسسات لم تزل تنسب إلى القرآن وجود «عوج» فيه، ولو لم ينل عوجه من إعجازه. فهذا العوج يتمثل لديهم فى «نقائص لغوية»، لم يكتشفها أحد إلا أرباب تلك المؤسسات، أولئك الذين لم يعرفوها إلا من خلال «طرق استعمال لغة قريش»، أى من خلال النحو والصرف والإعراب والبلاغة والمطالعة والإملاء والتعبير والخط ... إلخ. وهى ذات الطرق، التى لم يزل عمل تلك المؤسسات محصوراً فيها حتى الآن، وكأنها لم تزل فى مهدها منذ أربعة عشر قرناً مضت، أى لم تزل مجرد «كتاتيب».

وهذا العوج يتمثل لديهم فى النقائص اللغوية التالية: ١- وجود «حروف عربية متقطعة»، لا هى ألفاظ موصولة الحروف ببعضها، ولا هى لغة عربية مطلقاً. ٢- وجود «ألفاظ غريبة» عن العربية الموجودة بقريش وقت نزول القرآن. ٣- وجود «ألفاظ أعجمية» أصلاً. ٤- وجود تناقض بين آيات القرآن الناسخة وآياته المنسوخة، أى وجود «نسخ» داخلى فيه. ٥- وجود تكرار فى صياغة القرآن. ٦- .... إلخ(١).

---

(١) انظر مثلاً عبد العظيم المطعنى: «الكلام العاطل» ، «الكلام الأعجمى»، «الكلام المناقض، «الكلام المكرر»، «الكلام المنسوخ»، «الكلام الغريب»، مقالات منشورة فى مؤلف جماعى صادر عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- بعنوان «حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين» - ٢٠٠٢.

وهذا «الخيال»، ليس علماً نافعاً ولو حتى فى تفاهم الأمة الأمية على الأقل، إنما هو علم غير نافع مطلقاً، بل يجب حتى التعوذ بالله منه، خاصة أن القرآن ذاته ينفى صراحة وجود أى عوج فيه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا**﴾ (١/الكهف). وقوله تعالى: ﴿**قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ (٢٨/الزمر). وعلى أى الأحوال، لولا جهل تلك المؤسسات بوجود جوامع العربية، ما كان جهلها بنزول القرآن غير ذى عوج. أما هذه الجوامع فهى:

١٢٥- اللغة العربية الفاتحة :

هى لغة الصاد العربية، التى خصها القرآن بآيتين، إحداهما عنوان سورة، والأخرى موضوع الآية الأولى فى نفس السورة. فهى لا تقل عن لغة الضاد العربية من أى وجه من الوجوه، بل هى الأسبق فى الوجود تاريخياً منها، أى هى الأصل التاريخى للعربية، وبالتالى تشغل آياتها مُفتتح السور.

وهى لغة الصاد العربية، لأن حروفها الأبجدية تخلو من حرف الضاد، ولا يتجاوز عددها أربعة عشر حرفاً عربياً، كما هو الشأن فى حرف الصاد الذى هو الحرف الرابع عشر فى ترتيب الحروف الأبجدية العربية، وبالتالى حتى الموجود من آياتها فى القرآن يتمخض عن أربعة عشر لفظاً، ولو أنها موجودة فى رُبع سور القرآن، أى فى ثمان وعشرين ونصف سورة قرآنية.

وحروفها الأبجدية هى: أ ، ح ، ر ، س ، ص ، ط ، ع ، ك ، ل، م، هـ ، ق، ن، ى. أما ألفاظها فهى: الم، الر، المر، المص، حم، ص~،

عسق، طس، طسم، ق، ن، كهيعص، طه، يس. وآياتها تبلغ ثلاثة وثلاثون آية، منها تسع وعشرون آية فى مُفتتح ربع سور القرآن، وأربع آيات فى عناوين سور هى: طه، يس، ص~، ق. لكنها لا تتجاوز ثلث أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين، وثلث رحمات الله التسع والتسعين رحمة.

ونصف ألفاظها، أى سبعة ألفاظ هى: الم، المر، الر، المص، حم، طه، يس، إنما هى ألفاظ نصفية، أى غير كاملة، ويجب استكمال نصفها الاخر، وذلك بقاعدة: ما يذكر إلا أولو الألباب، وبالاستعانة بما قالته الملائكة فى القرآن. لأن هذه اللغة كانت لغة الملائكة وحدهم قبل خلق البشر الأرضى جناً وإنساً.

فمثلاً، لفظ «حم» من الألفاظ النصفية، ويعدل نصف لفظ «حميد» توأم لفظ «مجيد»، وكلاهما من ألفاظ اللغة العربية الجامعة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ**﴾ (٧٣/هود). وقد وردا فى كلام الملائكة إلى ربهم حال إخبارهم بعزمه سبحانه على جعل خليفة فى الأرض، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**قَالُواْ ... وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**﴾ (٣٠/البقرة). ومن ثم يُقال هذا التسبيح والتقديس فى خاتمة «تحيات» كل صلاة.

وهكذا الحال فى تأويل باقى ألفاظها النصفية. وعلى أى الأحوال، أشرنا من قبل إلى تأويل ألم،طه، يس، وكهيعص، وطسم، وطس، المص، ص~، ق، والمص على الأقل، وبالتالى فلا محل بعدئذ للزعم بأن هذه الألفاظ بمثابة سر مستغلق احتفظ الله به لنفسه. أو بمثابة كلام عاطل.

١٢٦- اللغة العربية الجامعة :

هى لغة الضاد الأولى تاريخياً، وأول من تلقاها مباشرة من ربه، هو آدم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء**﴾ (٣١/البقرة). لكن آدم لم يُعط فقط لغة الضاد الأولى تاريخياً، إنما أُعطى أيضاً لغة الصاد العربية السابقة عليه تاريخياً، أى أُعطى بهذا كافة اللغات العربية، أى العربية كلها مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا**﴾ (٣١/البقرة). أى علمه سبحانه لغة الإنس الأولى تاريخياً، وكذا لغة الملائكة السابقة عليها تاريخياً، والتى سمى آدم بها بعدئذ إبنيه «طه» و «يس» اللذين قربا قرباناً.

ثم امتحن سبحانه الملائكة فى لغة الإنس التى علم آدم إياها، أى لغة الضاد الأولى تاريخياً، لكنها كانت مستحدثة، وبالتالى لم يعرفوها لكونها مبنية على ثمانية وعشرين حرفاً أبجدياً عربياً، بينما لغتهم السابقة مبنية على أربعة عشر حرفاً أبجدياً فحسب، مصداقاً لقوله تعالى:﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (٣١/البقرة).

وقد صرحوا آنذاك بعدم معرفتهم بهذه اللغة المستحدثة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ (٣٢/البقرة). وهكذا فلغة الصاد العربية من قبل، كانت بدورها خلقاً من خلق الله، وخلقاً قائماً بذاته.

فأمر سبحانه آدم أن يعلم الملائكة لغة الضاد العربية التى تعلمها قبلهم، وبالفعل علمهم إياها، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم**

بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (٣٣/البقرة).

وبهذا لم تعد لغة الضاد الأولى تاريخياً، هى لغة الإنس وحدهم، ولا هى لغة الملائكة وحدهم، إنما أصبحت لغة هؤلاء وهؤلاء معاً، أى اللغة العربية «الجامعة». وهى بدورها تعدل ثلث القرآن شكلاً ومضموناً، وبالتالى لم تكن نشأتها فى الآية (٣٣) من سورة البقرة عشوائية، بل مقصود بها الإشارة إلى كون هذه اللغة تعدل الثلث الثانى من لغة القرآن، بعد العربية الفاتحة التى تعدل الثلث الأول من تلك اللغة.

١٢٧- وهذه اللغة العربية لم تزل قائمة إلى الآن على الأقل، وستظل قائمة إلى ما لا نهاية، أى لم ولن تندثر بمرور الزمان آلاف السنين عليها. فمثلاً، لفظ «عين حمئة» فى قوله تعالى: ﴿**بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ**﴾ (٨٦/الكهف)، هو من ألفاظ اللغة العربية الجامعة، وبالتالى لم يرد فى القرآن إلا مرة واحدة. وهو يعدل بعدئذ لفظ «عين حامية» باللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعدها بآلاف السنين، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(وهل تدرون أن تغرب هذه؟. تغرب فى عين حامية)** (٧٠٢٦/١٧٧). فالمقصود إذن «عين الشمس» ذاتها.

ومثلاً: لفظ «قسورة» فى قوله تعالى: ﴿**فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ**﴾ (٥١/المدثر)، هو من ألفاظ اللغة العربية الجامعة، وبالتالى لم يرد فى القرآن إلا مرة واحدة. وهو يعدل بعدئذ لفظ «أسد» باللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعدها بآلاف السنين، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(فر من المجذوم فرارك من الأسد)**([1]).

([1]) رواه البخارى من حديث أبو هريرة.

ومثلاً لفظ «أب» فى قوله تعالى: ﴿**وَفَاكِهَةً وَأَبًّا. مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**﴾ (٣١و٣٢/عبس)، هو من ألفاظ اللغة العربية الجامعة، وبالتالى لم يرد فى القرآن إلا مرة واحدة. وهو يعدل بعدئذ لفظ «كلأ» باللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعدها بآلاف السنين، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(ثلاث لا يُمنعن: الماء، والكلأ، والنار)** (٣٠٤٨/٥٨٥).

لكن قد يرد اللفظ أكثر من مرة فى القرآن، كلفظ «أرض الأوتاد» فى الآيتين ١٢/ص~ و١٠/الفجر، وهو يعدل بعدئذ لفظ «مصر» باللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعدها بآلاف السنين.

وقد ظلت اللغة العربية الجامعة هى لغة الضاد الموجودة «وحدها» منذ عصر آدم حتى نهاية عصر إبراهيم، وفى كافة مراكز التوطن آنذاك، مثل بكة وأرض الأوتاد والأحقاف، وسواء قبل طوفان نوح أو بعده.

لذا حتى «لفظ الفلك» الذى صنعه نوح بأعين الله ووحيه سبحانه، وكذا لفظ «الفلك المشحون» (١١٩/الشعراء، ٤١/يس، ١٤٠/الأحقاف)، هما من ألفاظ اللغة العربية الجامعة آنذاك، وكلاهما يعدل بعدئذ لفظ «سفينة نوح» باللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعدها بآلاف السنين، مصداقاً قوله تعالى:﴿ **فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ (١٥/العنكبوت). وليس لأحد أن يزعم بعدئذ أن«يونس» لم يكن من ركاب هذا الفلك المشحون، حتى استوت على الجودى (٤٤/هود) بطور سينين (٢/التين) وكلاهما من ألفاظ اللغة العربية الجامعة.

وعلى أى حال، لم ينظر أحد بعد إلى أسماء يونس وهود ومريم وإبراهيم ونوح باعتبارها من ألفاظ اللغة العربية الجامعة، وبالتالى لم يُفكر

أحد بعد فى تأويلها بالحق، رغم أنها «عناوين» سور قرآنية، والقرآن لم يُفرط فى بيان أى شئ على الإطلاق (٣٨/الأنعام، ٨٩/النحل).

١٢٨- اللغة العربية الخاتمة :

هى لغة الضاد الآخرة تاريخياً. وأول من تلقاها مباشرة من ربه هو إسماعيل، الذى كان إسمه قبل أن يتلقاها «إل ياسين» بالعربية الجامعة، وبمعنى «صادق الوعد» باللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعدها بآلاف السنين، مصداقاً لقوله تعالى بشأنه وحده دون غيره من الأنبياء بإطلاق: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ**﴾ (٥٤/مريم).

وهى أحدث اللغات العربية زمنياً وآخرها تاريخياً، لكن نسبتها فى لغة القرآن لا تتجاوز الثلث وشأنها فى ذلك شأن العربية الفاتحة وشأن العربية الجامعة. إنما الموجود من العربية الخاتمة فى القرآن لا يقتصر على مجرد «ألفاظ» كألفاظ العربية الفاتحة وألفاظ العربية الجامعة، بل يشمل أيضاً تراكيب لغوية، على اعتبار أن العربية الخاتمة هى «العربية المبينة» مصداقاً لقول خاتم الرسل: (**أول من فتق لسانه بالعربية المبينة، إسماعيل ...**) (٢٥٨١/٥٠٤).

فهى إذن ليست مبينة فى ذاتها فحسب، إنما هى أيضاً مبينة لسابقتيها تاريخياً، أى هى بهذا تؤدى دوراً مزدوجاً فى البيان، وتستكمل حتى بيان سابقتيها من اللغة العربية، وبالتالى استحدثت معها «الهمزة» لأول مرة تاريخياً كما فى ألفاظ: قروء والسماء وشاء وشئ وسيناء ... إلخ، أى أن هذه الهمزة لم تكن موجودة قبلها، لا فى حروف العربية الجامعة، ولا فى حروف العربية الفاتحة.

وبهذا فالعربية الخاتمة الموجودة فى القرآن، ليست موجودة وحدها فيه، إنما هى موجودة فيه جنباً إلى جنب العربية الفاتحة والعربية الجامعة، بل هى حتى موجودة فيه باعتبارها «لغة إسماعيل العربية»، وبصرف النظر عن مدى تطابقها مع لغة قريش وجاراتها وقت نزول هذا القرآن، وبصرف النظر – من باب أولى – عن مدى وجودها فى مدونات الشعر الجاهلى قبل نزول القرآن، خاصة أن هذا القرآن لم ينزل قرشياً على الإطلاق، إنما نزل عربياً بإطلاق (٢/يوسف، ٣/الزخرف).

وهو لم ينزل قرشياً، لأنه لم يكن لقريش لغة قائمة بذاتها تاريخياً، حتى لو كان القرآن قد خص هذه القبيلة العربية بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها، هى السورة رقم (١٠٦)، أى «سورة قريش».

بل حتى لو كان الله تعالى قد فضل هذه القبيلة بما لم يُفضل به غيرها، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(فضل الله قريشاً بسبع خصال. فضلهم بأنهم عبدوا الله عشر سنين ولا يعبد الله إلا قريش. وفضلهم بأنهم نصرهم يوم الفيل وهم مشركون. وفضلهم بأنه نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيها أحد من العالمين وهى «لإيلاف قريش». وفضلهم بأن فيهم النبوة، والخلافة، والحجابة، والسقاية)** (٤٢٠٨/٧٧٥).

١٢٩- المثالية العليا للصياغة :

هذه «المثالية العليا» مشهورة تقليدياً فى أدبيات شراح القرآن وقصصه، تحت عبارة «إعجاز القرآن»، ولو لم يكشف أحد بعد عن «عناصر» هذا الإعجاز، التى تتمثل فيما يلى:

فأولاً: جوامع العربية هى خلق من خلق الله، أى خلق قائم بذاته، ولا يختلف حتى عن خلق السموات والأرض، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ**﴾ (٢٢/الروم). وبهذا، فلا أحد يتلقى العربية عن والديه، إنما يتلقاها من ربه مباشرة، مصداقاً لقول خاتم الرسل: (**وليست العربية بأحدكم من أب، ولا من أم. إنما هى لسان، فمن يتكلم العربية، فهو عربى**). وكذا من يتكلم الأعجمية فهو أعجمى.

وهذا الخلق سواء خلق لغة الملائكة أو خلق لغة الإنس، له نشأتان متعاقبتان زمانياً ومتباعدتان تاريخياً (٤٩/الذاريات)، ويجب التمييز بين نشأتيه (٢٠/العنكبوت). فلغة الملائكة، هى فى نشأتها الأولى تاريخياً هى لغة الصاد العربية، ثم فى نشأتها الآخرة تاريخياً هى لغة الضاد الجامعة. وكذا لغة الإنس، فهى فى نشأتها الأولى تاريخياً لغة الضاد الجامعة، ثم فى نشأتها الآخرة تاريخياً هى لغة الضاد الخاتمة.

وهكذا لم يتمخض هذا التطور النوعى والتاريخى للعربية عامة، إلا عن وجود العربية الفاتحة والعربية الجامعة والعربية الخاتمة وذلك على نحو ما تقدم بيانه.

وثانياً: هذه الثلاث لغات عربية تتمخض عن لغة ثلاثية واحدة فى القرآن، وبالتالى فإن هذه اللغة الثلاثية الواحدة تستعصى على التقليد. ومن ثم يستحيل تقليد القرآن كلياً (٨٨/الإسراء)، أو تقليده جزئياً ولو بقدر عشر سور منه على الأقل (١٣/هود)، أو حتى تقليد سورة واحدة منه على أقل الأقل (٢٣/البقرة)، بل يستحيل هذا التقليد من جانب البشر الأرضى جناً وإنساً، حتى لو كان بعضهم لبعض ظهيراً فى هذا الشأن.

وهى ليست عصية على التقليد لغوياً فحسب، إنما هى أيضاً عصية على الترجمة لغوياً، أى الترجمة إلى لغة أخرى، سواء إلى لغة أعجمية، أو حتى لغة عربية أبسط، والتى هى بطبعها أدنى من لغة القرآن درجة، وأقل منها نوعاً، وبالتالى فلا قيمة علمياً لكافة شروح القرآن وقصصه على امتداد الأربعة عشر قرناً الماضية.

بل هى حتى عصية على الاختزال لغوياً. فمثلاً، حتى عبارة «صلى على النبى» الموروثة عن أدبيات القدامى، لا تُغنى مطلقاً عن عبارة «صلى وسلم على النبى تسليماً»، ولا تحل محلها ولا تقوم مقامها. فالمطلوب هو الصلاة والسلام، والسلام تسليماً، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ (٥٦/الأحزاب)، وقول خاتم الرسل: (**من ذكرت عنده فخطئ الصلاة علىَّ خطئ طريق الجنة**) (٦٢٤٥/١٠٧٢).

وكمال السلام عليه هو السلام عليه «فى العالمين» باللغة العربية الجامعة، مصداقاً لقوله تعالى بشأن السلام على نوح وحده دون غيره من الأنبياء بإطلاق: ﴿**سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ**﴾ (٧٩/الصافات). وهو «السلام الثلاثى» باللغة العربية الخاتمة التى جاءت بعدها بآلاف السنين، مصداقاً لقوله تعالى بشأن السلام على يحيى: ﴿**وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا**﴾ (١٥/مريم). وقوله تعالى على لسان المسيح بشأن سلامه على نفسه: ﴿**وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا**﴾ (٣٣/مريم). والسلام بهذا المعنى الكامل هو ما يجب استذكاره حتى حال «السلام على النبى» فى تحيات كل صلاة.

١٣٠- وثالثاً: لغة القرآن الثلاثية العربية هى المثل الأعلى للغة العربية، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى**﴾ (٦٠/النحل). فهى

حصاد تكامل وتساند ثلاث لغات عربية متباينة نوعياً ومتعاقبة تاريخياً، فى تكوين لغة ثلاثية عربية واحدة فى القرآن، من أجل تيسير قراءته والاستماع له والإنصات إليه، واستذكاره، حتى حال تفاهم الأمة الأمية فيما بينها.

إذن المثالية العليا أو إعجاز القرآن يتمثل فى «وحدة» جوامع العربية، فى لغة عربية واحدة وموحدة، أى متجانسة نوعياً وتاريخياً، ومُيسرة للتعامل مع القرآن عملياً، وفى كل مكان وكل زمان إلى يوم القيامة.

فمثلاً «لفظ الر» موضوع الآيات الأولى فى خمس سور قرآنية هى: يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر. وهو من ألفاظ اللغة العربية الفاتحة، قبل خلق آدم، أى من ألفاظ اللغة الملائكية. وهو يعدل بعدئذ نصف «لفظ الرحمن» باللغة العربية الجامعة. وقد ورد هذا اللفظ فى كلام الملائكة فى القرآن مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ**﴾ (٥/الشورى).

وهو أيضاً من ألفاظ اللغة العربية الخاتمة، وبالتالى خصه القرآن بعنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها، هى السورة رقم (٥٥) أى «سورة الرحمن». بل يتلازم هذا اللفظ مع «لفظ الرحيم»، حتى فى صيغة إصدار القرآن كاملاً، أى الصيغة موضوع الآية الأولى فى سورة الفاتحة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ (١/الفاتحة).

وهما بمعنى الراحم برحماته التى بقدر عدد أسمائه الحسنى بإطلاق، وبالتالى فهو سبحانه أرحم الرحماء بإطلاق، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ (١٥١/الأعراف)،

وقولـه تعـالى: ﴿**رَبَّنَـا آمَنَّـا فَـاغْفِرْ لَنَـا وَارْحَمْنَـا وَأَنـتَ خَيْـرُ الـرَّاحِمِينَ**﴾ (١٠٩/المؤمنون).

الفرع الثالث

نظام

تفكير الأمة

١٣١- كيف تُفكر الأمة الأمية ؟

هذه الأمـة ليست مُتبلدة التفكير عامـة، ولا هـى إذن مُتبلدة التفكير فى السنة، ولا حتى مُتبلدة التفكير فى القرآن، بل إن العكس هو الصحيح بإطلاق، أى هى أمة مُتجددة التفكير فى القرآن والسنة معاً وعلى السواء. وتجديد تفكيرها فيهما يجب أن يكون دورياً، أى بانتظام زمنياً، ومرة كل قرن على الأكثر، مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يُجدد لها دينها)** (١٨٧٢/٣٨٢). أى يُجدد لها فهمها للقرآن والسنة.

لكنـه سبحانه لم ولن يبعث لها هذا التغيير الضرورى ما لم تكن مهيأة نفسياً لاستقباله على الأقل، أى مهيأة لتطهير نفسها تماماً مما يتناقض مع القرآن والسنة، مصداقاً لقولـه تعالى: ﴿**إِنَّ اللّـهَ لاَ يُغَيِّـرُ مَـا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ (١١/الرعد).

وأيضاً هذه الأمة الأمية ليست عشوائية التفكير عامة، ولا عشوائية التفكير فى السنة، ولا حتى عشوائية التفكير فى القرآن، بل عليها التفكير فيهما تفكيراً منهجياً، أى التفكير فى خلائق الله دون التفكير فى الذات الإلهية مصداقاً لقول الرسول: **(تفكروا فى خلق الله، ولا تفكروا فى الله)** (٢٩٧٦/٥٧٢). بل عليها حتى التفكير فى الخلق باعتباره آلاء على

وجود الذات الإلهية مصداقاً لقول خاتم الرسل: **(تفكروا فى آلاء الله، ولا تفكروا فى الله)** (٢٩٧٥/٥٧٢).

وعلى أى حال، هذه الأمة مُلزمة فى تفكيرها بالمنهج القرآنى وحده، أى مُلزمة بطريقة التفكير التى استحدثها القرآن لأول مرة تاريخياً، ولم تكن موجودة ولا معروفة قبل نزوله، ولم يستحدثها القرآن إلا بديلاً عن كافة مناهج الإنسان ومدوناته قبل أو بعد نزوله تاريخياً، وبالتالى لم ينتهج السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار منهجاً سواه على الإطلاق مصداقاً لقوله تعالى بشأن «عظمة» منهج الرسول: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ (٤/القلم).

لذا يُحذر الرسول أمته من «شر» مناهج الإنسان ومدوناته، سواء مناهج المتكلمين الثرثارين أو مناهج المفسرين المتشدقين أو مناهج المفتين المتفيقهين، مصداقاً لقوله : **(شرار أمتى الثرثارون المتشدقون المتفيهقون)**(٣٧٠٤/٦٩٠). فهؤلاء استبدلوا بالمنهج القرآنى المستحدث، مناهج نظرائهم قبل نزول القرآن، ومنهجاً بمنهج، وبالتالى فهم أسوأ الناس منهجاً فى عصر القرآن، أى أسوؤهم طريقاً وتوجهاً، ومن ثم أبغضهم إلى الرسول وأبعدهم منه فى الآخرة، سواء كانوا متكلمين ثرثارين أو مفسرين متشدقين أو مفتين متفيهقين، مصداقاً لقوله: **(إن أبغضكم إلىَّ وأبعدكم منى فى الآخرة، أسوؤكم أخلاقاً: الثرثارون المتفيهقون المتشدقون)**(١٥٣٥/٣٢٠).

فيجب إذن اجتناب هذه المناهج كافة، حتى لو سُميت تجوزاً فى مصر مؤخراً «منهج الأزهر»، الذى هو مجرد مُسمى لغوى جديد لتلك المناهج الموجودة من قبل نزول القرآن، وحتى لو استقر هذا المسمى اللغوى فى التشريع المصرى، وذلك فى المادة ٣٢ مكرر/ب من القانون

١٩٦١/١٠٣ بشأن تنظيم الأزهر. فلا هو المنهج القرآنى المستحدث، ولا هو منهج السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ولا هو يُنكر الملل الشائعة فى الأمة إلى الآن، ولا حتى فى مصر على الأقل، وبالتالى سيظل هذا المنهج عائقاً يعوق تجديد فهم القرآن والسنة فى مصر خاصة.

وإذا كانت هذه هى «خطورة» منهج الأزهر، فما بالنا بخطورة مناهج غيره من الإخوانيات فى مصر، أى مناهج الإخوان السلفيين والإخوان المسلمين والإخوان القرآنيين والإخوان الصوفيين وأخوان الصفا (الشيعة) وأخوان السنة والأخوان العلمانيين ... إلخ، وبالتالى فلا يؤمل منها مجتمعات أو منفردات أن تحقق أى شئ للدعوة، ولا لنشر علوم الدين واللغة العربية فى مصر، ولا فى العالم.

١٣٢- المنهج القرآنى :

أولاً: قراءة القرآن مُنظمة، وواجبة على كل مُخاطب بالقرآن، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾ (١٨/القيامة). وهى ليست مُنظمة ولا واجبة، إلا باعتبارها أداة لسماع القرآن والإنصات إليه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ (٢٠٤/الأعراف).

وثانياً: هذا السماع والإنصات ليسا مقصودين لذاتهما، إنما هما مطلوبان لما بعدهما، أى توطئة لاستذكار القرآن بعدئذ، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ (٥٨/الدخان). إنما توطئة لاستذكار القرآن الذى لم يُفرط فى بيان أى شئ على الإطلاق (٣٨/الأنعام)، أى نزل تبياناً لكل شئ بإطلاق (٨٩/النحل).

وثالثاً: هذا الاستذكار بدوره واجب قائم بذاته، أى واجب على كل مخاطب بالقرآن، مصداقاً لقول خاتم الرسل: (**اسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنْ النَّعَمِ من عَقْلِهَا**) (٩٣٦/٢٢٢). وهذا الاستذكار مطلوب لذاته، وبالتالى نزل القرآن ذاته مُيسراً لهذا الاستذكار خاصة، مصداقاً لقوله تعالى أربع مرات فى سورة القمر: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**﴾ (١٧ و ٢٢ و ٣٢ و ٤٠/القمر).

وهذا الاستذكار، لا يلزمه فقط سماع القرآن والإنصات إليه حال قراءته، إنما يلزمه أيضاً تأويل القرآن بالحق، على اعتبار أن هذا التأويل هو أحسن تفسير للقرآن، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**﴾ (٣٣/الفرقان). فيجب إذن تأويله بالحق، سواء «تأويله شكلياً» أى من حيث لغاته العربية الثلاث، أو تأويله موضوعياً، وسواء تأويله إجمالاً أو تأويله تفصيلاً.

أى يجب تأويله إجمالاً من خلال مثانيه السبع التى نزلت صحبته مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾(٨٧/الحجر). كما يجب تأويله تفصيلاً، أى آية بآية، وسورة بسورة، وحتى الفهرس عنواناً بعنوان.

١٣٣- موقف المصريين فى الخارج:

موقف هؤلاء، سواء الذين يقيمون خارج بلدهم على الأقل، أو يقيمون خارج البلاد العربية على الأكثر، وسواء كان هذا الموقف مصحوباً أو غير مصحوب بتخليهم عن الجنسية المصرية، فإنه ليس الموقف العادى لكل مصرى إنما هو موقف خاص بهم وحدهم بل هو

حتى موقف استثنائى لوجودهم فى بلاد تُنكر وجود القرآن والسنة على الأقل.

وهو موقف «شاذ» على أى الأحوال، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**مَّا جَعَلَ اللَّـهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾ (٤/الأحزاب). ومن ثم فهو ليس موقفاً محموداً لهم حتى لو ارتضوه لأنفسهم، بل هو حتى موقف منهى عنه مصداقاً لقول خاتم الرسل: (**أنا برئ من كل مسلم، يقيم بين أظهر المشركين، لا تراءى نارهما**)(٣٠٦/١٤٦١)، وقوله أيضاً: (**من أقام مع المشركين فقد برئت منه الذمة**)(١٠٤٩/٦٠٧٣).

فلا يُنتظر بعدئذ منهم أن يؤدوا أى خدمة للقرآن والسنة، ولا حتى للدعوة على الأقل، سواء فى البلدان التى يقيمون بها، أو حتى فى بلدهم، الذى ليس مضطراً إذن إلى إعطائهم أى «امتيازات» بعد أن أداروا ظهورهم له واعتقدوا أنه لم يُعطهم ما أعطاهم الخارج إياه، وذلك بصرف النظر عما يجرى مؤخراً من تسميتهم تجوزاً «العلماء فى الخارج» أو «العقول المهاجرة» ... إلخ، لأنهم لا يُقيمون إلا حيث ينفعون وينتفعون.

خاتمة

أولاً: مُشكلة « تصحيح الخطاب المعرفى العربى»، وإن كانت مُشكلة «لغوية» نوعياً، لكنها لم تزل تتجاوز مدركات شراح «طرق استعمال لغة قريش» حتى الآن، أى شراح النحو والصرف والإعراب والبلاغة والمطالعة والتعبير والإملاء والخط ... إلخ، وبالتالى أصبحت مشكلة قديمة زمنياً وراسخة تاريخياً وجسيمة حالياً.

فهى مُتغلغلة فى «كافة» أرباب هذا الخطاب من المحدثين والقدامى، الذين أقدموا على «التأليف» فى القرآن والسنة، دون أن يكونوا مستعدين لهذا التأليف إلا قليلاً، أو حتى أقل القليل، وبصرف النظر عن أشخاصهم وأسمائهم وأزمانهم وأوطانهم ومللهم.

فهؤلاء استعجلوا كثيراً فى هذا التأليف، قبل أن يعرفوا من لغة القرآن والسنة إلا ثلثها على الأكثر، أى دون أن يعرفوا ثلثيها على الأقل، وبالتالى ورث المحدثون عن القدامى عدم معرفتهم بأى شئ عن «لغتين» من لغات القرآن العربية الثلاث.

وثانياً: وهاتان اللغتان هما: ١- لغة الصاد العربية الفاتحة، التى حظت بآيتين. إحداهما عنوان سورة قرآنية قائمة بذاتها والأخرى موضوع الآية الأولى فى سورتها مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ**﴾ (١/ص~). بمعنى أن لغة الصاد العربية إحدى لغات القرآن ذى الذكر.

٢- لغة الضاد العربية الجامعة، وكان آدم أول من تلقاها مباشرة من ربه، الذى لم يلبث سبحانه أن أمره أن يعلمها للملائكة، وبالتالى صارت لغة الإنس والملائكة معاً، والتى خصها القرآن بثلاث آيات قرآنية

هى الآيات من ٣١-٣٣ من سورة البقرة. وظلت هذه اللغة موجودة وحدها حتى نهاية عصر إبراهيم، قبل أن تُسم مصر بهذا الإسم بآلاف السنين.

وثالثاً: المؤلف الراهن يضع هذه المشكلة فى حجر المحدثين، لكى يُقروا بهذا القصور البالغ من جانب أساتذتهم والذى يطال تراثهم ويُقوضه رأساً على عقب، وبصرف النظر عن التفاخر الأجوف بهم وبه طوال الأربعة عشر قرناً الماضية. ولكى نبنى الخطاب المعرفى العربى من جديد.

فدعنا نمرق بعدئذ من كافة مناهج الإنسان ومدوناته قبل وبعد نزول القرآن، إلى القرآن والسنة مباشرة، وإليهما وحدهما، لكى نرى مدى إسهام مصر فى «المشهد القرآنى» منذ بداياته جغرافياً وتاريخياً ولغوياً ودينياً على السواء. فهذا الموضوع لم يزل غائباً عن أهل مصر حتى الآن، أى هم فى حاجة إليه علمياً. بل هم حتى أحوج إليه من غيرهم.

(وما توفيقى إلا بالله)

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تنويه	٤
مقدمة	٥
تقسيم	١٣
المطلب الأول **أرض مباركة** **فى مصر**	١٥
الفرع الأول: نشأة المغارب المباركة	١٨
الفرع الثانى: تمييز المغارب المباركة	٢٤
الفرع الثالث: جانب المغارب المباركة	٣٠
الفرع الرابع: قمة المغارب المباركة	٣٥
الفرع الخامس: عودة إرم إلى الأحقاف	٤٣
المطلب الثانى **الأرض ذات الأوتاد**	٤٧
الفرع الأول: اصطلاح أرض الأوتاد	٤٩
الفرع الثانى: رائدا العصر الحجرى	٥٣
الفرع الثالث: صورة آدم الحجرية	٦٢
الفرع الرابع: قوم إدريس وذى الكفل	٧٢
الفرع الخامس: أول قوم بعد الطوفان	٨٠
المطلب الثالث	٨٧

أرض مصر	
الفرع الأول: اسم مصر	٨٩
الفرع الثانى: الدولة الملكية	١٠٠
الفرع الثالث: الحدود الجغرافية	١١٥
المطلب الرابع **رجال حول موسى**	١٢٥
الفرع الأول: الشيخ الكبير	١٢٧
الفرع الثانى: النبى هارون	١٣٢
الفرع الثالث: يوشع بن نون	١٣٨
الفرع الرابع: الخضر	١٤٤
المطلب الخامس **مصر** **والأمة الأمية**	١٥٧
الفرع الأول: نظام اصطفاف الأمة	١٦١
الفرع الثانى: نظام تفاهم الأمة	١٦٨
الفرع الثالث: نظام تفكير الأمة	١٨٢
خاتمة	١٨٧
الفهرس	١٨٩
للمؤلف	١٩١

للمؤلف

١- التنظيم القضائى من زاوية أشخاصه – دار النهضة العربية – ٢٠٠٧.
٢- التنظيم القضائى فى ضوء مبدأ سمو القانون الإلهى على التشريع – ٢٠٠٦.
٣- فكرة المحكمة العليا للأسلمة – ط ٢ – دار النهضة العربية – ٢٠٠٤.
٤- نظرية القوة التنفيذية لسند التنفيذ – دار الفكر العربى – ٢٠٠٢.
٥- طبيعة المهمة التحكيمية – دار الفكر العربى – ٢٠٠١.
٦- أساس الوظيفة القضائية – دار النهضة العربية – ١٩٩٩.
٧- المفهوم القانونى للبيئة – ط ٢ – دار الفكر العربى – ٢٠٠١.
٨- القوة التنفيذية لحكم التحكيم – دار الفكر العربى – ٢٠٠١.
٩- مبدأ عدم جواز تناقض الأحكام – دار النهضة العربية – ١٩٩٧.
١٠- اعتبار الحجز كأن لم يكن – دار النهضة العربية – ١٩٩٥.
11- The System of attacks on judgments, Comparative Study– 1989.
١٢- تطور قانون المرافعات واتجاهاته – ١٩٨٧.
13- The Legal theory, 2001.
١٤- فكرة الوسطية فى العمل الإنسانى – مصر المعاصرة – س٩٦ – ع ٤٧٩ – ٢٠٠٥.
١٥- أزمة قاعة البحث القانونى – مصر المعاصرة – س ٩٦ – ع ٤٨٠ – ٢٠٠٥.
١٦- فكرة الوساطة الإجرائية – ورقة بحثية لمؤتمر حقوق طنطا – فبراير ٢٠٠٢.
١٧- أساس التنفيذ الجبرى – دار النهضة العربية – ١٩٩٦.
١٨- الدفع بعدم القبول فى قانون المرافعات – رسالة إسكندرية – آلة كاتبة – ١٩٦٨.
١٩- الوجيز فى قانون القضاء المدنى – ط ١ – دار النهضة العربية – ٢٠٠١.
٢٠- التنفيذ الجبرى – ط ٨ – دار النهضة العربية – ٢٠٠١.

٢١- أثر الصفة الأجنبية لعناصر الدعوى المدنية – مجلة روح القوانين – ع٤ – ص ٢٢٥ – ٣٨٣ – سنة ١٩٩١.
٢٢- اعتبار الحجز كأن لم يكن – مجلة روح القوانين ع ٣ – ١٩٩٠ ، ع ٦ – ١٩٩١.
٢٣- الهيئة القضائية وأعوانها – فى ضوء مبدأ سمو القانون الإلهى – دار النهضة العربية – ٢٠٠٩.
٢٤- مركز الشعب والدولة والرئاسة والبرلمان واللغة العربية – فى ضوء مبدأ سمو القانون الإلهى – دار النهضة العربية، ٢٠١٠.
٢٥- مبادئ المحاكم الاقتصادية – فى ضوء مبدأ سمو القانون الإلهى – دار النهضة العربية – ٢٠١٠.
٢٦- إعتلال صحة التقاضى فى مصرنا – فى ضوء مبدأ سمو القانون الإلهى – مجلة الحقوق (إسكندرية) عدد خاص – مارس ٢٠١٠.
٢٧- الضوابط القانونية للتعليم المصرى وفق قانون جودته ولائحته – فى ضوء مبدأ سمو القانون الإلهى – دار النهضة العربية – ٢٠١٠.
٢٨- انتهاك مبدأ التخصص القضائى فى ضوء مبدأ سمو القانون الإلهى، بحث قدم فى مشروع كلية الحقوق جامعة الإسكندرية، بشأن إحياء ذكرى أساتذتنا فى تخصص المرافعات المدنية والتجارية، بكتابات فى موضوع «التخصص القضائى».
٢٩- أساس حقوق وواجبات المرأة فى ضوء مبدأ سمو القانون الإلهى، بحث مقدم لمؤتمر كلية الحقوق جامعة الإسكندرية، فى أول ديسمبر ٢٠١٠.
٣٠- مبادئ التنفيذ الجبرى فى قانون المرافعات – دار النهضة العربية – ٢٠١١.
٣١- مشكلات النظام القضائى المصرى فى ضوء مبدأ سمو القانون الإلهى – دار النهضة العربية – ٢٠١١.
٣٢- مشكلات النظام الدستورى المصرى – فى ضوء مبدأ سمو القانون الإلهى – دار النهضة العربية – ٢٠١٢.
٣٣- نظام البرلمان المصرى – دراسة انتقاديه وتصحيحيه – مقالة بمجلة «روح القوانين» – حقوق طنطا – ٢٠١١.

٣٤- أسباب تخلف الدساتير العربية – دراسة انتقاديه وتصحيحيه – مقالة «روح القوانين» – حقوق طنطا – ٢٠١١.
٣٥- الدور البيئى والمجتمعى للطالب الحقوقى – مقالة «روح القوانين» – حقوق طنطا – ٢٠١٢.
٣٦- تعريف الدولة المصرية دستورياً – مقالة «روح القوانين» – حقوق طنطا – ٢٠١٢.
٣٧- القوة التنفيذية لحكم التحكيم – ط ٨ – دار النهضة العربية – ٢٠١٢.
٣٨- نظرية البشر القانونية فى ضوء مبدأ سمو القانون الإلهى – دار النهضة العربية – ٢٠١٢.
٣٩- أول وآخر درس فى القانون الإلهى – مقالة – مجلة روح القوانين (حقوق طنطا) ٢٠١٣.
٤٠- مبادئ التنفيذ الجبرى – دار النهضة العربية، ٢٠١٣.
٤١-ا لنكبة العلمية للمسلمين عرباً وعجماً – دار النهضة العربية – ٢٠١٣.
٤٢- أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب – دار النهضة العربية – ٢٠١٣.
٤٣- دور مبادئ الشريعة أمام القضاء الوطنى – دار النهضة العربية – ٢٠١٤.
٤٤- قانون القضاء المدنى – القسم الثانى – دار النهضة العربية -٢٠١٤.
٤٥- دور القضاء الوطنى نحو مبادئ الشريعة – مجلة روح القوانين – جامعة طنطا – ص ٢٠١٥.
٤٦- دور مبادئ الشريعة أمام القضاء – طبعة ثانية منقحة – دار النهضة العربية – ٢٠١٥.
٤٧- المدخل المصرى إلى القانون – دار النهضة العربية – ٢٠١٥.
٤٨- نحو تطوير الثقافة القرآنية – دار النهضة العربية – ٢٠١٥.
٤٩- نحو تطوير الثقافة القانونية – دار النهضة العربية – ٢٠١٥.
٥٠- مبادئ قانون المرافعات – ٢٠١٥ – دار النهضة العربية.
٥١- تطبيقات عملية للتنفيذ الجبرى– دار النهضة العربية – ٢٠١٥.
٥٢- التنفيذ الجبرى التطبيقى – دار النهضة العربية – ٢٠١٥.
٥٣- مبادئ قانون المرافعات – جزءان – دار النهضة العربية – ٢٠١٥.
٥٤- قاعة البحث العلمى القانونى – دار النهضة العربية – ٢١٠٥.

٥٥- النظام القضائى المصرى – دار النهضة العربية – ٢٠١٥.
٥٦- دور القضاء المصرى نحو الشريعة – دار النهضة العربية – ٢٠١٦.
٥٧- تمصير العلم والعمل بالشريعة – دار النهضة العربية – ٢٠١٦.
٥٨- مستلزمات الشريعة فى الحياة القانونية المصرية – دار النهضة العربية – ٢٠١٦.
٥٩- نظرية القانون فى مصر – دراسة انتقادية – مقالة فى مجلة روح القوانين – ٢٠١٥.
٦٠- دور القضاء المصرى نحو الشريعة – دار النهضة العربية – ٢٠١٦.
٦١- نظرية القضاء فى مصر – دراسة انتقادية – مقالة فى مجلة روح القوانين – ٢٠١٦.
٦٢- مبادئ التنفيذ الجبرى فى قانون المرافعات – طبعة ثانية – ٢٠١٦ – دار النهضة العربية.
٦٣- نظرية القضاء الوقتى فى مصر – دار النهضة العربية – ٢٠١٦.
٦٤- مبادئ قانون المرافعات المصرى – دار النهضة العربية – ٢٠١٦.
٦٥- نحو تمصير مؤلفات المرافعات – مقالة بمجلة روح القوانين – تصدرها حقوق طنطا.
٦٦- مبادئ قانون المرافعات المصرى – ط ٢ – دار النهضة العربية – ٢٠١٧.
٦٧- حقوق تكريم الإنسان – دار النهضة العربية – ٢٠١٧.
٦٨- علم تأويل القانون (إلهياً ووضعياً) – دار النهضة العربية – ٢٠١٨.
٦٩- أبو الهول ولغته في القرآن – دار النهضة العربية- ٢٠١٨.
٧٠- قصة الحرب الأخيرة في سيناء – دار النهضة العربية – ٢٠١٨.
٧١- اقتصاديات التنظيم القضائى المصرى – دار النهضة العربية – ٢٠١٨.
٧٢- مبادئ خلق الكون فى القانون- دار النهضة العربية – ط١ – ٢٠١٩.
٧٣- مبادئ خلق الكون فى القانون- طبعة ثانية – دار النهضة العربية – ط١ – ٢٠٢٠.
٧٤- علم الجغرافية القانونى – دار النهضة العربية – ٢٠٢٠.
٧٥- قاعدة البحث فى الشريعة – دار النهضة العربية – ٢٠٢٠.

٧٦- تجربتى مع القرآن – طبعة ١ – ٢٠٢٠.
٧٧- كيف تستذكر القرآن؟ دار النهضة العربية – طبعة ٣ – ٢٠٢٠.
٧٨-كيف تنتفع بالقرآن علمياً وعملياً؟ دار النهضة العربية – طبعة ٤ – ٢٠٢١.
٧٩-إحياء المنهج القرآنى – دار النهضة العربية – ٢٠٢٠.
٨٠-لغة الصاد العربية – دار النهضة العربية – ٢٠٢١.
٨١-المنهج القرآنى – دار النهضة العربية – ٢٠٢١- ط ٥.
٨٢-اقتصاديات التنظيم القضائى المصرى – دار النهضة العربية – ٢٠١٩.
٨٣-مفهوم اللغة العربية – دراسة قانونية – ط ٢ – ٢٠٢١.
٨٤-موجز علم اللغة العربية – دراسة قانونية – ط٢ – ٢٠٢١.
٨٥-مصر قبل طوفان نوح وبعده – دراسة قانونية – ط٢- ٢٠٢١.

رقم الإيداع: ٢٠١٥/١٤١٢٣

ترقيم دولى:
978-977-04-7845-5